بسم الله الرحمن الرحيم

...من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

عن رسول الله ﷺ، مخاطباً صحابته :

«إنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم»

«رواه مسلم»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

رَوَى الإِمَامَانِ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَانِ، عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

بسم اللّه الرحمن الرحيم،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد بن عبد اللّه،
وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تقديـــم

أما بعد،

فلَقد لاحظتُ أنّ الكثيرينَ من أبْنائِنا الصِّغَار، لا يتَلقَّون فِي صِغَرِهِم ما يَجِبُ علَيهِم مَعرفَتُه مِن أُمور دينِهِم، (مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَة، وَتَعْتَقِدُه القُلوب) وَمَا يجِبُ عليْهِم أدَاؤُه مِنْ وَاجِبَاتٍ وسُنَنٍ وَآدَاب دِينِيَّةٍ عَامَّةٍ، مَع أَنَّ تعْليمَهُم ذَلِكَ يُعْتَبَرُ مِنَ الوَاجِبَاتِ الأَكِيدَة، الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّموهَا ويُنَشَؤُوا عَلَيْهَا، لِتَعِيَهَا قُلُوبُهُم فِي صِغَرِهِمْ، وَيَسْتَشْعِرُوها فِي نُعُومَة أَظْفَارِهِم، وَيَتَدَرَّبوا عَلَى أَدَاءِ الوَاجِبَاتِ المَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ فِي صِغَرِهِم، فلاَ يَسْتَسْقِلُونَهَا فِي كِبَرِهم. ويُدْرِكُون وَهُمْ صِغَارُ أَنَّ اللَّه تَعَالَى الَّذِي خَلقَهم، فَأَحْسَن صُوَرَهُم، لَمْ يَتْرُكْهُمْ هَمَلاً، ولم يُرِدْ لَهم سُبحانَه أنْ يَعِيشُوا غَافِلِينَ عَنْ رَبّهم، غَيْرَ مُدْرِكِينَ أنَّ لَهُمْ رَبّاً خَلَقَهُمْ فَسَوَّاهُم، وبَيَّنَ لَهُم فَهَدَاهُم، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ تَعليمَ الصِّغَار لِكِتَابِ اللَّهِ، يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصِّغَر، كِالنَّقْشِ فِي الْحَجَر.

تصْحيحُ العَقيدة مِنْ أوّل الوَاجِبَات

يقول الشيخ عَبْدُ الواحِد بْنُ عاشِر في مُقَدِّمَتِهِ لِكِتَابِ الاِعْتِقَاد[1] :

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ كُلِّفَا ... مُمَكَّناً مِنْ نَظَر أَنْ يَعْرِفَا
ٱللَّهَ والرُّسُلَ بِالصِّفَاتِ ... مِمَّا عَلَيْهَا نَصَبَ ٱلآيَاتِ

وَوَرَد في الحديث الصحيح، الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قال : بَيْنَما نَحنُ جُلُوسٌ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إِلَى النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّد، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَم ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(1) قصيدة المُرشد المُعين لابن عاشر، كانت تُحفظ وتُدرّس لجميع الأبناء في الكتاتيب والمساجد.

«الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ : صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَان ؟ قَالَ : أنْ تُؤْمِن بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ : صَدَقْتَ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ثُمَّ جَاءَ فِي آخِرِ الحَدِيثِ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّمَ : يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَائِلُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ، رواه الإمَام مُسْلِم.

فَهَذَا الحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ سيِّدُنا عُمَر رضي اللَّهُ عَنْه، يُبيِّنُ لَنا حقيقَةً : الإِسْلاَم، وَحَقِيقَة الإِيمَان، وَحَقِيقَةَ الإِحْسَان، حتَى نَكُونَ عَلَى بَيِّنَةً مِنْ أَمْرِنَا، فَنَفْهَمَ أُمُورَ الْعَقِيدَةِ علَى حَقِيقَتِهَا، كَمَا جَاءَ بهَا الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

اَلرُّكْنُ الأَوَّلُ فِي الإِسْلاَمِ : اَلشَّهَادَتَان

فالرُّكْنُ الأَوَّلُ فِي الإِسْلاَم، والقَاعِدَة الأَسَاسِيَّةُ فِيهِ، هي الشَّهَادَتَان : شَهَادَةُ أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَشَهَادَةُ أَنّ مُحَمَّداً رَسُولُ

اللَّهِ، فلاَ إِسْلاَم صَحِيحاً مَقْبُولاً، بِدُونِ الشَّهَادَتَيْن، أَيْ بِدُونِ أَنْ يَنطِق بِهِمَا بِلِسَانِه، وَيُصَدّقَهُمَا بِقَلْبِه، تَصْدِيقاً حَقِيقيّاً، لاشَكَّ فِيهِ، ولاَ ارْتِيَابَ، وَيَتْبَع الشَّهادَتَيْن : إِقَامَةُ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، بِفَرَائِضِها وشُرُوطِها، وسُنَنِها ومُسْتَحَبَّاتِها، كَما سَنُبَيِّنه إن شَاءَ اللَّه.

اَلصّلاَةُ : هِيَ الرُّكْنُ الثَّانِي فِي الإِسْلاَمِ

والصَّلاَة واجِبَة وُجُوباً عَيْنِيّاً في الحَضَر والسَّفَر، فِي الصِّحَّة والْمَرَض، وَهِيَ فِي الإِسْلاَمِ بمَنْزِلَةٍ لاِ تُعَادِلُهَا مَنْزِلَةُ، أيِّ عِبَادَة أُخْرَى، وَهِيَ عِمَادُ الدّين، مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَقَدْ ضَيَّعَ الدّين، فَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَالَ : (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُه الصَّلاَةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَاد فِي سَبِيلِ اللَّه). والصلاة أوَّلُ وَاجِبٍ أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى المُسْلِمِين، مِنْ فَوقِ سَبْعِ سَمَاوَات، في لَيْلَة الإِسْرَاء والمِعْرَاج، والصَّلاة أوَّل مَا يُحاسَبُ عَليه الْعَبْدُ يَوْم الْقِيامَة، فَلقَد جَاءَ عَنْ رسُولِ اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم كما رواه الإمام الطَّبَرَاني : (أَوَّلُ مَا يُحاسَبُ عَلَيْه العَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَة،

الصَّلاةُ، فإنْ صَلُحَتْ، صَلُحَ سَائِر عَمَلِه، وَإنْ فَسَدَتْ، فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِه). وَالصَّلاَةُ آخِرُ وَصِيَّة وَصَّى بهَا رَسُول اللَه صلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم أُمَّتَهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِه الدُّنْيَا، جَعَلَ يقُولُ وهو يلْفَظُ أَنْفاسَهُ : الصَّلاَة، الصَّلاة، وما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم. والقُرآن الكريم يقولُ : ﴿إِنَّ الصَّلاَة كَانَتْ عَلَى المُومِنِينَ، كِتاباً مَوْقُوتاً﴾[3] وَيَقُول : ﴿وَأقِمِ الصَّلاة لِذِكْرِي﴾[4] ويقول : ﴿حَافِظُوا علَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى﴾[5] وَيَقُول الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : (بَيْنَ الرَّجُل وبَيْنَ الكُفْر، تَرْكُ الصلاة) رواه الإمام أحْمد والإمام مُسْلِم وغيْرُهما. وعن بُرَيْدة كما رَوَاه أحمد وأصْحابُ السُّنَن، قال رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم : (العَهْدُ الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَكُم الصَّلاَة، فمَنْ تَركَها فقَدْ كفَرَ.

الصَّلاّةُ واجبَةٌ وُجُوباً قَطْعِيّاً

فتَوَضَّح ممَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ صَحيحَةٍ، أن الصَّلاَة واجبةٌ عَلَى كلِّ مُسْلِم بَالِغٍ عاقِل. والبُلُوغ هُوَ مَنَاطُ

(3) سورة النساء. الآية : 103.
(4) سورة طه. الآية : 14.
(5) سورة البقرة. الآية : 238.

التَّكْلِيف، فالَّذِي لَمْ يَبْلُغ سِنَّ التَّكلِيف، لاَ تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّلاَة، ولكن يَنبَغِي أَنْ يأْمُرَهُ وَلِيُّه، أي والدُه أو غيرُه، بأدائِها مُنْذُ صِغَرِه، إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ فَمَا بَعْدُ، بالتَّرْغِيبِ أَوّلاً، ثم بالتّرْهِيب إذَا كَبُر، تطْبِيقاً لأمْرِ رسولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الَّذِي قَالَ فِي الحَدِيث الشَّرِيف الَّذِي رَوَاهُ الإِمَـام أحْمَد وغيْرُه : (مُرُوا أَوْلاَدَكم بالصَّلاَة إِذَا بَلَغُوا سَبْعاً (أي سبع سنوات) واضْرِبُوهُم عليها إِذَا بَلَغُوا عَشْراً (ضَرْباً غَيْرَ مُبرِّح) وفرِّقُوا بينَهُم في المَضَاجِع.

الصّلواتُ الواجبَة

والصَّلَوَاتُ الواجِبَة، خَمْسُ صَلَـوَاتٍ، هِيَ : (1) الصُّبْحُ، (2) الظُّهْرُ، (3) العَصْرُ، (4) المَغْرِبُ، (5) العِشاءُ...[6].

مواقيت الصَّلاة

كُـلُّ صَـلاة مـن الصَّـلَـوات، يـجبُ أن تُـؤَدَّى فِـي وَقْـتِـهَـا المَحْدُودِ، امتِثَالاً لقولِ اللَّه تَعَالَى : ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كانتْ على

(6) اَلصُّبْحُ ركْعتان، آلظُّهْر أربَعُ ركعاتٍ، العصرُ أربَعُ ركَعات، المَغربُ ثلاثُ ركَعات والعِشاء أربَعُ ركعاتٍ.
(7) سورة النساء. الآية : 103.

المومِنين كِتاباً مَوقُوتاً﴾[7] أيْ فرْضاً مؤكَّداً فِي أوقَاتِها التِي حدَّدَها الشّرْع، لا يَجُوزُ تأخيرُها عَنْ أوقاتِها، فلقَدْ جاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (وَقْتُ الظُّهْر، إِذَا زالَت الشّمْس (إِذَا بَلَغَتْ كَبِد السَّمَاءِ) أي وسَطَها، وكان ظِلُّ الرَّجُل كطُولِه، مَا لَمْ يحْضُر العَصْر. ووقْتُ العَصْرِ، ما لَمْ تَصْفَرُّ الشَّمْسُ، ووقْتُ صَلاَة المَغْرِب، مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَق، ووقْتُ صلاَة العِشَاءِ، إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ الأوسَط، ووقت صَلاَة الصُّبْح، مِن طُلُوعِ الفَجْرِ، مَا لم تطْلُع الشّمْس.

سُنَّــة الأذَان

الأَذَانُ هُوَ الإِعْلاَم بِدُخُولِ وَقْتِ الصَّلاة، وصيغَتُه عِنْدَ المالِكِيَّة، هِيَ : اللَّهُ أكْبَر، اللَّهُ أكْبَر (مرتانِ) أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّه (مرتان) أشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً رسولُ اللَّه (مرتان) حيَّ على الصَّلاَة (مرتان) حَيَّ على الفَلاَح (مرتان) اللَّه أكْبر (مرتان) لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه (مرة واحدة).

وفي صلاة الصّبح يزيد بعد قوله : (حَيَّ على الفلاح) الصلاَةُ خيْرٌ مِن النَّوْمِ، ثُمّ الباقي.

صلاة الجَماعة

الصَّلاَةُ مع الجماعَة، سُنَّةٌ مُؤكَّدَة، فينْبَغي للمُصَلِّي إذَا سمِعَ المؤذِّن يُنادِي : (حيَّ علَى الصَّلاة، حَيَّ على الفَلاَح) أنْ يَسْتَجِيبَ للنِّدَاء، وَيَهْرَعَ إلَى أَدَاءِ الصَّلاة مَع الجَمَاعَة، لِقَوْل النَّبِيِّ صلَّى اللَّه عَلَيْه وسلّمَ، كَمَا روَاه عبْدُ اللَّه بْنُ عُمَر رضي اللّه عنه : (صَلاة الجَمَاعَة، أَفْضَلُ من صَلاَة الفَذّ، بِسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجَة) (مُتفق عليه).

صَلاة المسبوق

المَسْبُوق هُوَ الَّذي يَجدُ الجَماعَة سَبَقَتْه إلَى الصَّلاَة، فَلا يُدْرِكُ مَعَهَا، إلاَّ ركْعَةً واحِدَةً أَوْ أَكْثَرَ، فيدْخُل إلى الصَّلاة بتكبيرَة الإحْرام وحْدَه، وهو قَائِم، ويتْبَعُ المُصلِّين كيْفَمَا كانُوا، سَوَاء كانُوا قَائِمِين، أَوْ رَاكِعِين أَوْ سَاجِدِين أَو جَالِسِين، ويعْتَبِرُ مَا أَدْرَكَه منْ رُكُوع مَع الإمَام، هوَ الرَّكعة الأُولَى بالنِّسْبَة لَه، فَإِذَا سلَّم الإمَام، فَإنَّه لا يسلِّم معَه، ولكنَّه يقف للإتْيان بالرَّكْعَة أو الركَعَات الَّتي فاتَتْه.

تحيَّة المسْجِد

يُسْحبُّ لمَنْ يدخُل إلى المسْجِد قَبل أن تُقامَ الصَّلاة أنْ يُؤَدِّي تحيَّة المسجد أي ركْعَتَيْن خفِيفَتَيْن، لِمَا وَرَدَ فِي حديثٍ رواه أبُو قَتَادَة، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم قَال : (إِذَا جَاءَ أَحدُكُم المَسْجِد، فَلْيُصَلِّ سجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِس.

صَلاة القَصْر فِي السَّفَر

مِن السُّنَّة أَنْ يَقْصُر المُسَافِر فِي صَلاَتِه الرُّبَاعِيَّة، قال الإِمَام ابن القِيَّم : وَكَان صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم يقصُر الصَّلاة الرُّباعِيَّة، فيصلِّيهَا رَكْعَتَين، مِن حِين يَخْرُج مسافِراً إِلَى أنْ يَرْجِع إِلى المَدِينَة وَلم يَثبُتْ عنه أنَّه أَتَمَّ الصَّلاة الرُّبَاعية[8].

والقَصر سنَّة مؤكَّدة لدَى المالكِيَّة، ويُكرَه للمسافِر أن يقتَدي بالإِمَام المُقيم، والمُسَافِر إِذَا أَقام بالمدِينة الَّتي سَافر إِلَيْها أرْبَعة أَيَّام، يُتَمِّم صلاتَه ويَترُك القَصْر، وِفاقاً لمذْهب المالِكية.

(8) تُسن صلاة القصر، إذا زادت المَسافة عن نحو ثمانين كيلوميتر وهي مسافَة القَصْر.

صَلاَة الجُمُعَة

صَلاَة الجُمُعَة فريضة مُحْكَمَة، لا يَجُوزُ التَّهاوُن في أَدَائِها، لِقَوْله تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾[9] والَّذِي يَتَخَلَّفُ عن أَدَاءِ صَلاَةِ الجُمُعَة مَعَ المُؤْمِنِينَ، يُعْتَبَر عَاصِياً، فلَقَدْ وَرِدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم، كَمَا رَوَاه ابنُ مسعود، أَنَّه قَالَ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الجُمُعَة : لَقَدْ هَمَمْتُ أن آمُر رجُلاً يُصَلّي بالنَّاس، ثُمَّ أُحَرِّقُ عَلَى رِجَالٍ يتخَلَّفُونَ عَنِ الجُمُعَة بُيُوتُهُم. رواه الإمامان : أحمد ومُسلم، وعن أبِي هُرَيْرَة وابْنِ عُمر : أنّهُما سمِعَا النبيّ صلَى اللَّه عَلَيْه وسلَّم يَقُول علَى أعواد مِنْبَرِهِ : (لَيَنتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عن ودْعِهِمُ (أي تركهم) الجُمُعَات، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّه عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثمّ لَيَكونُنَّ مِنَ الغَافِلِين) رواه أحمد والنّسائي ومُسلم. ورُوِيَ عنْهُ صلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم : من تَرَكَ ثلاث جُمَعٍ مُتَهَاوِناً طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ. وَصَلاَةُ الجُمُعَةِ وَاجِبَةٌ وُجُوباً عيْنِيّاً عَلَى الرَّجُل البَالِغِ العَاقِلِ المُقيم (غير المُسافر) القادِر على السَّعْيِ إِلَيْهَا، وَلاَ تَجِبُ علَى المَرْأة وَالصَّبِيّ والمَرِيضِ. وَإِذَا

(9) سورة الجمعة. الآية : 9.

أرادَت امرَأة أنْ تَحْضُر صلاَة الجُمُعة، فَلَهَا ذَلِك، وإن لَم يَكُن واجباً عليها، فلَقَد كانَتِ النِّسَاءُ تَحضُر المسْجِد عَلَى عَهْدِ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وسَلَّم وتُصلِّي مَعَه الجُمُعَة، وَوَقْتُ صَلاَة الجُمُعَةِ، هُوَ وَقْتُ صَلاَةِ الظُّهْرِ.

فَضْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَصْبَحُوا لاَ يُعْطُونَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَيَّةَ أهمِيَّةٍ بالنِّسْبَة لأيَّامِ الأُسْبُوعِ، مِثل مَا كَانَ مِن قَبلُ، مَعَ أَنَّها خيْرُ أَيَّامِ الأُسْبُوع، بدَلِيل الحَدِيثِ النَّبَويّ الشَّريفِ الَّذِي جَاءَ فِيه : (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَت فِيهِ الشَّمْس، يَوْمُ الجُمُعَة : فِيهِ خُلِقَ آدَمُ علَيْه السَّلام، وَفِيه أُدْخِلَ الجَنَّة، وَفِيه أُخْرِجَ مِنْها، ولا تقُومُ السَّاعَة إلاَّ فِي يَوْم الجُمُعة)، وفي حَديث آخر : (سَيِّد الأَيَّام يَوْمُ الجُمُعَة، وَأعْظَمُها عِنْدَ اللَّهِ تَعالَى، مِن يَوْمِ الفِطْرِ، وَيَوْمِ الأضْحَى..) (حديث).

الدّعاءُ يَوْمَ الجُمُعَة

ينْبَغِي للمُؤْمِن كَثْرَةُ التَّوَجُّه إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الجُمُعَة، فلَقَد جَاءَ عَن النَّبِي صلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم : (إِنَّ فِي الجُمُعَةِ سَاعَةً لاَ

يُوافِقُهَا عبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَل اللَّهَ عزَّ وَجلَّ فِيهَا خَيْراً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَهِيَ بَعْدَ العَصْرِ) (رواه أحمد).

اسْتِحباب الصَّلاة علَى النَّبيّ صلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم يَوْم الجُمُعَة، وَلَيْلَتَها.

يَقولُ الإِمَام ابْنُ القَيِّم : يُسْتَحبُّ كثْرَةُ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلّم فِي يَوْمِ الجُمعة، ولَيْلَتِه لقوله صلّى اللَّه عَلَيْهِ وسَلَّم : (أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَة عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الجُمُعَة).

ونظراً لقِيمَةِ يَوْمِ الجُمُعَة وفَضْلِهِ عَلَى غَيْرِه مِن أَيَّام الأُسْبُوع، فَلَقدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة عن رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَالَ : (عَلَى كُلِّ مُسْلِم الغَسْلُ يَوْم الجُمُعَة، وَيَلْبَسُ مِنْ صَالح ثِيَابِه، وَإِنْ كَان لَه طِيبٌ مَسَّ مِنْهُ) رواه أحمد والبخاريّ ومُسْلِم، ومعنَى هذا أنَّ يَوْم الجُمُعة ينْبَغِي أن يظْهَر فِيه المُسْلِمُون بمظْهَر جَدِيدٍ، ونَظِيف، مُلفِتٍ للنَّظَر، حَتَّى يَمتاز عَلَى غَيْرِه مِن الأَيَّام، وَلا يُغَطِّي عَلَيْه لا يَومُ السَّبْتِ وَلاَ يَوْم الأَحَدِ، ويَشْعُر الأَبْنَاءُ والأَطْفَالُ بامْتِيازه. ولقَد رَوَى الإِمَام الطَّبَراني، عن أبي هُرَيْرَة، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ فِي جُمعَةٍ مِنَ الجُمَع : (يَا

مَعْشَر المُسْلِمِين، هَذَا يوْمٌ جَعَلَه اللَّه لكُمْ عِيداً، فاغْتَسِلُوا وعلَيْكُم بالسِّوَاكِ فيَوْم الجُمعة عِيدٌ لِلْمُومِنين)، بنص الحَديث، ولا يجُوز عدم إِعْطاء العيد قِيمَتَه وحُرْمَتَه.

التشهُّد فِي الصَّلاَة

عنْد انتِهَاء أَدَاء الصَّلَوات، كلّها فَرِيضَةً أوْ نَافِلَةً، يَقرأ المُصَلّي التَّشهُّد جالِساً قَبل السَّلام. وصيغَة التشَهُّد، هِي : التحيَّاتُ لِلَّه، الزَّكِيَّاتُ لِلَّه، والطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّه، السَّلاَمُ عَليْك أيُّها النَبِيُّ ورَحْمة اللَّه وبرَكَاتُه، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ وحْدَه لا شَرِيك لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسُولُه، ثمَّ الصَّلاة الإِبْرَاهِيمِيَّة، ثُمَّ الدُّعَاء، ثُمَّ السَّلاَم.

الطَّهــارة

لا تَجُوزُ الصَّلاَة دُونَ طَهارَة، والطَّهَارَةُ قِسْمَان، طَهارَة حَدَثٍ، وَطَهَارَة خَبَثٍ. والطَّهَارَةُ بِقِسْمَيْها، لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بالمَاءِ الطَّاهِرِ، وهُو الَّذي لَم يتَغَيَّر لونُه، أو طَعمُه أو رِيحُه، وهو ما يُعبَّرُ

عِنْه بالمَاءِ المُطْلَق، كَمَاءِ المَطَر والثَّلْج والبَرَد. قَالَ اللَّه تعالَى : ﴿ويُنزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّركُم به﴾[10] وَقال : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾[11] وَقَال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه علَيْهِ وَسَلَّم فِي مَاءِ البَحْر : (هُوَ الطَّهُور مَاؤُهُ، الحِلُّ مَيْتَتُه) رَواهُ الخمسة.

طَهَارَةُ الثَّوْب والبَدَن والمَكَان

طهـارَة الثَّوْب الَّذي يُصَلِّي بِه المُصَلِّي واجِبَة، وكَذَلِك طَهَارَة المَكَان الَّذِي يُصَلّي فِيه، وَطَهَارَة جِسْمِ المُصَلِّي.

الـوُضُـوء

جاءَ فِي القُرْآن الكَرِيم : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمُ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ وامْسَحُوا بِرُؤُوسِكم، وأَرْجُلَكُم إِلَى الْكَعْبَيْن﴾[12] وفِي الحَديث الشَّريف أَنَّ النَبّيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلّم قَال : (لاَ يَقْبَل اللَّه صلاةَ أَحَدِكم إِذَا أحْدَثَ (أيْ نُقِض عَليه الوُضوء) حَتَّى يَتَوَضَّأ).

(10) سورة الأنفال. الآية : 11.
(11) سورة الفرقان. الآية : 48.
(12) سورة المائدة. الآية : 6.

فرائِضُ الوُضُوءِ

فَرَائِـضُ الوُضُـوءِ سَبْعــة : (1) النِّيَّةُ، (2) وغَسْــلُ الوَجْهِ، (3) وغسلُ اليَدَيْن إِلَى المَرْفِقَيْن، (4) وَمَسْحُ الرَّأْس، و(5) غَسْلُ الرِّجْلَيْنِ إِلَى الكَعْبَيْنِ، و(6) الدَّلْكُ، و(7) الفَوْر.

سُنَنُ الوُضُوء

سُنَن الوُضُوء ثَمانِيَّة : (1) غَسْلُ اليَدَيْنِ إِلَى الكُوعَيْن ثَلاثاً عِنْدَ الشُرُوع فِي الوُضُوء و(2) المَضْمَضَة و(3) الاسْتِنْشَاقُ و(4) الاسْتِنْثَارُ و(5) ردُّ مَـسْـح الـرَّأْس و(6) مَسْحُ الأُذُنَيْنِ مِن صِمَاخِهما و(7) تجْديدُ المَاءِ لَهُمَا و(8) التَّرْتِيبُ بَيْنَ الفَرَائِض.

مُستحَبَّاتُ الوُضُوء

(1) يُستَحَبُّ أن يُسمِّــيَ اللَّه فِي أَوَّل الوُضُوء، (2) السِّوَاك، (3) التَّيامُن أي البدَايَــة باليَمِيــن، (4) البدَايَة بمُقَدَّم الرَّأْس، (5) وتَرْتِيبُ السُّنَن، (6) وتَخليلُ أصابِع اليَدَيْن والرِّجْلَين وعِنْد المَالِكيين تخليل أصَابِعِ اليَدَيْن فرْض.

نَواقِض الوُضوء

نَواقِض الوُضُوء أيْ مُبْطِلاتُه، كلُّ ما خَرَجَ مِن السَّبيلَين : القُبُل والدُّبُر، مثل البُول والغَائط والرّيح والمَذْيُ والوَدْي، والنَّوْم الثَّقِيل، والإغْماء، والسُّكْر، والقُبْلَة وَلَمْسُ المَرْأَة إنْ قصَد اللَّذَّة أوْ وَجَدَها، ومسُّ الذَّكَرِ بِبَاطِنِ الكَفِّ أَوْ بِبَاطِنِ الأَصَابِع.

الغُسْل

يَجِبُ الغَسْلُ مِن ثَلاَثة أَشْيَاء : الجَنَابَة، والحَيْض، والنِّفَاس، فَالجَنَابَة وهِيَ الوصْف القائِم بالشَّخْص، المَانِع لَهُ مِن اسْتِباحَة مَا شُرِطتْ فِيهِ الطَّهَارَة، كَالصَّلاَة. والجَنَابَةُ قِسْمَان : خُرُوج المنِيِّ بلذَّةٍ مُعتادَة، في نَوْم أوْ يقَظَة، بِجِماع أوْ غَيْرِه، والثَّانِي مَغِيبُ الحَشَفَة فِي الفَرَج.

فَرَائِضُ الغَسْل

فَرَائِض الغَسْل أرْبَعة : النِّيَّة عِنْدَ الشُّرُوع، والفَوْر، والدَّلْك، وتعْمِيمُ الجَسَد كلِّه، ويجبُ عَلى المُغتَسِل أنْ يُتَابع الأَمَاكِن الخَفِيَّةَ فِي الجَسَد، مِثْل تَحْتَ الرُّكْبَتَيْن، وتَحْت الإِبْطَيْن،

والأُذُنَيْن، والسُّرَّة، وبَيْنَ الأَلْيَتَيْن، أي المَقْعَد، وإِذَا لم يُمكنْه أنْ يَصِل بِيَدَيْه إِلَى مَحلّ كَالظَّهْر، فَلْيَسْتَعِنْ بِخِرْقَة أَوْ جَلْدَة أوْ تَوْكِيل شَخْص.

سُنَن الغَسْل

البِدايَة باسْم اللَّه، ثُمّ بِغَسل النَّجَاسَة والذَّكَر، ثُمَّ أعْضاء الوُضُوء، ثُمَّ أَعْلَى جَسَدِه، وتثْلِيث غَسْل الرَّأس، وتَقديم شَقّ جَسَده الأَيْمَن، وَيُخَلِّل شَعَر لِحْيَته، ويَغْسِل رِجْلَيْه.

مَا يَحْرُم علَى الجُنُب

لا يحلّ للجُنُب دخُول المَسْجِد، وَلاَ قِراءة القُرْآن، إِلاَّ آيَةً ونحْوَها للتعوُّذ ونحوِه، والصَّلاة، ومسُّ المُصْحَف وحَمْلُه والمُكْثُ فِي المَسْجِد.

التَّيَمُّم

التَيمُّم طَهَارَة تُرَابيَّة، تُستعْمَل فِي الوَجْه والكَفَّيْن بِنيَّة استبَاحَة الصَّلاة، جاءَ فِي القُرْآن الكرِيم : ﴿وإِنْ كُنتُم مَرْضَى

أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَاءَ أَحَدُكم مِن الغَائِط أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صِعِيداً طَيِّباً فامْسَحوا بوُجُوهِكُم وَأَيْدِيكُم إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[13].

وَفي الحَديث الشَّريف، عن أَبي أُمَاهَة رضي اللَّه عَنْه : أَنَّ رسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ : (جُعِلَتِ الأَرْضُ كُلُّها لِي ولأُمَّتِي، مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْ رَجُلاً مِن أُمَّتِي الصَّلاَةُ، فَعِنْدَه طَهُورُه) رواه أحمد.

وجاء في المُرْشِد المُعين :

فَصْلٌ لِخَوْفِ ضُرٍّ أَوْ عَدَمِ مَا عَوِّضْ مِنَ الطَّهَارَة التَّيَمُّمَا

فالمَرِيض يتَيَمّم إِنْ كانَ الماءُ يَضرُّهُ، وَيَتَيَمَّم الحَاضِرُ الصَّحِيح إِذَا خَافَ خُرُوج وَقْتِ الصَّلاة.

فرائض التيمّم

يقول ابنُ عاشِر في المُرْشِد المُعين :

فُرُوضُهُ مَسْحُكَ وَجْهاً واليَدَيْن للكُوع والنِّيَّةُ أُولَى الضَّرْبَتَيْنِ

ثُمَّ المُوَالاَة صَعِيدٌ طَهُرَا وَوَصْلُهَا بِهِ ووقتٌ حَضَرا

(13) سورة النساء. الآية : 43.

أي(1) النِّيَّةُ أَوَّلاً، (2) والصَّعِيد الطَّاهِر : أي الحَجَرُ أوِ الرَّمْل أوِ التُّرَاب أو غَيرهُما مِمَّا عَلَى وَجْهِ الأَرْض، (3) ومَسْحُ الوَجْه بعْد رفْع اليَدَيْن مِن فَوْق الصَّعيد الطَّاهِر، (4) ومَسْحُ اليَدَيْن إِلَى الكُوعَيْن داخِلُهم وباطنُهما مَع تخْلِيل الأَصَابِع، (5) والفَوْرُ، (6) ودُخُول الوَقْت، (7) واتِّصالُه بالصَّلاة.

سُنَن التَّيَمُّم

(1) الضَّرْبَةُ الثَّانِيَة علَى الصَّعِيد الطَّاهِـــر لِمسْــحِ اليَدَيْن، (2) مسْحُ مَا بَيْن الكُوعَيْن وَالمَرْفِقَيْن، (3) والتَّرْتِيبُ أيْ تَقْديمُ مَسْحِ الوَجْهِ علَى مَسْح اليَدَيْن.

مُستحبَّاتُ التّيمُّم

(1) التَّسْمِيَّة، (2) وتَقدِيم اليُمْنَى علَى اليُسْرَى، (3) وتَقدِيمُ ظَاهِرِ الذّرَاع عَلَى بَاطِنِه ومُقدَّمُه عَلى مؤخَّرِه.

نـوَاقِـضُــه

نواقِضُ التَّيمُم مثْلُ نواقِض الوُضُوء، ووجُود الماء لَدَى بِدَايَة التيمُّم، ولاَ تُصَلَّى فَرِيضَتَانِ بِتَيَمُّمٍ وَاحِد.

التَّيمُّم لِصَلاَة النَّوَافِل

يَجُوز التَّيَمُّمُ للنَّوافِل، وَمَنْ تَيَمَّمَ لأَدَاءِ الفَرِيضَة، يَجُوزُ لَهُ أَدَاءُ النَّوافِل بَعْدَها دُونَ تَيَمُّم آخَر، ويجوزُ لَه كذَلِك مسُّ المُصْحَف، والطَّوَافُ، والتِّلاوَةُ إِنْ نَوَى ذَلِك، واتصلَت النَّوافِل بِالفَرِيضَة.

فصْلٌ فِي الحَيْض

الحيْض هو الدَّمُ الخَارِجُ بِنَفْسِه أيْ دُون تعمُّد لِلإخْراج، مِن قُبُل مَنْ تَحمِلُ عَادَةً، وهُو علامَةٌ علَى بُلُوغِ البِنْتِ، وَوُصُولِهَا لِسِنِّ التَّكْلِيفِ، أَيْ وُجُوبُ أَدَاءِ الوَاجِبَات المَفْرُوضَة، مِثْلُ الصَّلاَة والصِّيام مِنْ أرْكَان الإِسْلاَم الخَمْسَة.

والحَائِضُ ثَلاَثَةُ أَقْسَام : (1) مُبْتَدِئَة، (2) ومُعْتَادَة، (3) وحَامِل.

فالَّتِي لَم يَسبَقْ لَهَا أَنْ حَاضَتْ، وَجَاءَهَا الحَيْض، تُسمَّى مُبْتَدِئَةً، فلَيْسَتْ لهَا عَادَةٌ سابِقَة، إن جَاءَها الدَّمُ وتَمَادَى بِهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا عَلَى عَادَةِ النِّسَاء، لاَ يُعتَبَرُ الدَّمُ النَّازِلُ مِنْهَا حَيْضاً إلاَّ خمسَةً عشَرَ يَوماً، فَتَصيرُ تؤدِّي الصَّلاَة والصِّيَام، ويُبَاشِرُها زوجُها، بِعَكْسِ مَا كَانَ فِي الْخَمسَةَ عشرَ يَوْماً السَّابِقَة، حَيث تَصِيرُ طَاهِرَة.

وأما المُعتَادة، وهِيَ الَّتِي سَبَق لها الحَيْض، وأَصْبَحت أَيَّامُ المَحيضِ مَعْرُوفَةً لَدَيْها فِي كُلِّ مَرَّة، فإن جَاءَها الحَيْض كَالعَادَة عِنْدَها، وَلَم يزد علَى تِلْك الأَيَّام المُعْتَادة، فإنَّ عَادَتَها كَمُلَت، وَلاَ شَيْءَ عَلَيْها، وإنْ تَمَادَى نُزُولُ الدَّمِ بَعْدَ الأَيَّام المُعْتَادَة، فَإِنَّها تَسْتَظهِرُ بِثَلاَثَة أَيَّام زَائِدَة، إِنْ كَانَتْ عَادَتُها عَشَرة أَيَّام، وإِنْ كَانَتْ عَادَتُها ثَلاَثَة عَشَر يَوْماً، استظْهَرت بِيَوْمَيْن زَائِدَيْن، وإِنْ كَانَت أَرْبَعَةً عشَر يَوْماً، اسْتَظْهَرَتْ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ زَائِدٍ، فَإِذَا زَادَ الدَّمُ فِي الأَحْوَالِ الثَّلاثَة المَذْكُورَة، فَإِنَّها تطْهُر وتؤدّي الوَاجِبَاتِ المَفْرُوضَة، ويسمَّى ذَلِكَ الدَّمُ، دَمُ اسْتِحَاضَةٍ، وتسمَّى هِيَ مُسْتَحاضَة، لاَ حائِض.

حكمُ الحَامِل

يقول في هِدايَة المتعبِّد السالِك في مَذْهَب الإِمَام مَالك: (ولِلْحامِل بَعد ثلاثَة أَشْهُر خَمْسَةَ عشَر يَوْماً ونحوُها، وبعدَ ستَّةِ أشهُر، عشرُون ونحوُها، فإن انقطَع الدَّمُ لفَّقَتْ أَيَامَه حتَّى تَكْمُل عَادَتُها) قال الأزهَري : (يَعْني أن الحامِل إِذَا مَضَى علَيْها ثلاثَة أشهُر بعْد أنْ علقَتْ بالْحَمْل ونزَلَ بها الحَيْضُ

وتمادَى بِهَا زِيَادَةً عَلَى عادَتِها، فَإِنَّها تمكُثُ خمْسَةَ عَشَرَ يوماً ونحْوَها كالعِشرين، وبعْدَ هَذَا، يُعْتَبر استِحاضَة.

ولا يَحِلُّ للحائِض صلاةٌ ولا صَوْم وَلاَ طَوَافُ وَلاَ مسُّ مُصحف ولا دُخولُ مسْجِد، وعَلَيْها قَضَاءُ الصَّوْم دُونَ الصَّلاَة، وقراءَتُها جائِزَة، ولا يَحِلُّ لزوْجِها فرْجُها ولا بيْن سُرَّتَيْها وركْبَتَيْها حتَّى تَغْتَسِل.

الصلاة على الجَنَازَة

الصَّلاَة على الجَنَازَة فرضُ كِفَايَة، إِذَا قَامَ بِهَا البَعْضُ، سقط الطَّلَبُ عن البَاقِين، والصَّلَوَاتُ الخَمْس فُرُوض عَيْن أَيْ تجبُ علَى كُلِّ شَخْص بِعَيْنِه.

والصَّلاَةُ علَى الجَنَازَة، لَيْس فيهَا رُكُوع ولا سُجُود، ولَيْس فيهَا إلاَّ أربَعُ تكبيرَات، قِياماً، يرفَع المُصَلِّي يَدَيْه فِي الرَّكْعَة الأُولى، (ثُمَّ يقْرَأ الفَاتِحة) في غَير مَذْهَب مَالك، (ثُمَّ يُصلِّى عَلَى الرَّسُولِ فِي الرَّكْعَة الثَّانِية بعد التَّكْبيرة الثانِيَّة) (في غير مَذْهب مالك أيْضاً) ثُمَّ يكَبِّر التَّكبيرةَ الثَّالِثة ويدْعُو للميِّت، ثُمَّ يكبِّر التَّكْبيرة الرّابِعَة، ويَدْعُو للميِّت ثُمَّ يُسَلِّم مِثْل مَا يُسلِّم في الفَرِيضَة العَيْنِيَّة.

الدُّعاء في الصَّلاة علَى الجَنَازة

والدَّعَواتُ كُلّها جائزَةٌ، ومن المُسْتَحْسَن أنْ يَقُولَ بعد التَّكْبير :

الحَمْد لِلَّه الَّذي أَمَاتَ وَأحْيَا، والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي يُحْيِي المَوتَى، لَه العَظَمَة والكِبْرِيَاء، والمُلْك، والقُدْرة والسَّنَاء، وهُو عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدير. اللَّهُمّ صلّ علَى مُحمَّد وعلَى آلِه مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْت ورَحَمْتَ وبَارَكْتَ علَى إِبْرَاهيم وعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم فِي العَالَمِين إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ عبْدُك وابْنُ عبْدِك وابْنُ أَمَتِك، أَنْتَ خَلَقْتَه ورزَقْتَه، وأَنْتَ أَمَتَّهُ وأنتَ تُحْيِيه، وأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّه وَعَلاَنِيَّتِه، جِئْناكَ شُفَعَاءَ لَه، فشَفِّعْنَا فِيه، اللَّهُمَّ إِنَّا نستَجيرُ بِحَبْل جِوارِك له، إِنَّكَ ذُو وَفَاءٍ وَذِمَّة، اللَّهُمَّ قِهِ مِن فِتْنَةِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّم، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَه وارْحَمْهُ، واعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ وَأَكْرِمْ نُزُلَه، ووَسِّع مَدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بِمَاءٍ وَثَلْجٍ وَبَرَدٍ، وَنَقِّه مِن الخَطَايَا كَمَا يُنقَّى الثَّوْبُ مِن الدَّنَس، وأَبْدِلهُ داراً خيْراً مِن دَارِه، وَأَهْلاً خَيْراً مِن أَهْلِهِ، وزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِه، اللَّهُمَّ إِنْ كَان مُحْسِناً فزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً

فَتَجَاوَزْ عَنْه، اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْزُول بِهِ، فَقِيرٌ إلى رَحْمَتِك، وأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ عِندَ المَسْأَلَة مَنْطِقَهُ، وَلا تَبْتَلِه فِي قَبْرِهِ بِمَا لاَ طَاقَةَ لَهُ بِه، اللَّهُمَّ لاَ تحْرِمْنَا أجْرَهُ، ولاَ تفْتِنَّا بعْدَهُ.

تقول هَذا الَّذي ذكَرنا، إِثْر كلِّ تكبِيرَة، وتَقُول بَعد التَّكبيرة الرَابِعَة : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَحَاضِرِنَا وَغَائِبِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنا، وَذَكَرِنَا وَأُنثَانَا، إِنَّكَ تَعْلَمُ مُتَقَلَّبَنَا وَمَثْوَانَا، وَلِوَالِدَينا وَلِمَنْ سَبَقَنَا بالإِيمَان، ولِلْمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات والمُؤمِنِين والمُؤمِنات، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والأَمْوَات، اللَّهُمَّ من أَحْيَيْتَهُ مِنَّا، فَأَحْيِه عَلَى الإِيمان، وَمن تَوفّيتَهُ مِنَّا فتوَفَّهُ عَلَى الإِسْلام، وأسْعِدنا بلقائكَ، وطَيِّبْنَا لِلْمَوْت، وَطَيِّبْهُ لَنَا، واجْعَل فِيه رَاحَتنا. ثُمَّ تُسَلّم[14].

يقول رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (إِذَا صَلَّيتُم عَلَى المَيّت، فَأخْلِصُوا لَه الدُّعَاء) رَواه أبو دَاود والبَيْهقي وابن حبّان. ولقد دَعا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم في الصَّلاة عَلَى الجَنَازَة فَقَال ـ كَمَا رَوَاه أَبُو هُرَيْرَة ـ : (اللَّهُمَّ أَنْتَ ربُّها، وَأَنْتَ خلقْتَهَا

(14) لَيْسَتْ هَذِهِ الأَدْعِيَّةُ كُلُّهَا مُتَعَيِّنَة.

وَأنْتَ رزقْتَها، وأنْتَ هَدَيْتَها لِلإِسْلاَم، وَأنْتَ قبضْتَ رُوحَها، وَأنْت أعلَم بِسِرِّهَا وَعَلاَنِيَّتها، جئنَا شُفَعَاءَ لَه، فاغْفِرْ لَه ذَنْبَهُ.

الدّعاء للطِّفْل

بعْد الثَّناء علَى اللَّه تَعالَى، والصَّلاةِ علَى رسُوله، تقُول: اللَّهُمَّ إنَّه عبدُك وابن عبدِك، وابنُ أَمَتِك، أنتَ خَلَقْتَه ورزَقْتَه، وأنتَ أمَتَّه وأنتَ تُحْيِيه، اللَّهُمَّ فاجْعَلْهُ لِوَالِدَيْه سَلَفاً وذُخْراً، وفَرَطاً وأَجْراً، وتقِّلْ بِهِ موازينَهُم، وأعظِمْ بِهِ أُجُورَهُم، ولا تَحرِمْنا وإِيَّاهُم أجْرَهُ، ولا تفتِنَّا وَإِيَّاهُم بعدهُ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْهُ بصَالِح سَلَفِ المُؤمِنين، فِي كَفالَة إِبْرَاهيم، وأبدِلْهُ دَاراً خيْراً من دارِه، وأَهْلاً خيْراً مِن أهلِه، وعَافِه من فِتْنة القَبْر، ومِن عَذَاب جهَنَّم، (تقول ذَلك بَعد كل تَكْبيرَة) وتَقُول بَعْد التَّكْبِيرَة الرَّابعَة : اللَّهُمَّ اغْفِر لأَسْلافِنَا وأَفْراطِنا، ولِمَنْ سَبَقَنَا بالإيمَان، اللَّهُمَّ من أَحْيَيتَهُ مِنَّا، فَأحيه علَى الإِيمَان، وَمَنْ تَوفَّيْتَه مِنَّا، فتَوفَّهُ عَلى الإِسْلام، واغفِرْ للمُسْلمين والمُسلِمات والمُؤْمِنين والمُؤْمِناتِ، الأَحْياءِ منْهُم والأمْوات، ثُمَّ تُسَلِّم.

سُجود القُرآن

ويُسمَّى سُجُود التّلاوة، وهو أنَّ التَّالِي للقُرآن، إِذَا وَصل لآيَة بِها سجْدَة، يسجُدُ ثُم يُتَمِّم القِراءَة في رِوَايَة (ورش) التي يَتْلو بِها المَغَارِبة إِحْدَى عَشرَة سَجْدَة، يُشارُ إِلَيْها فِي جَانِب المُصْحَف، وَهِي العَزائِم، ليْس فِي المفصَّل منهَا شَيْءٌ، ولا يسجُد السَّجْدة في التِّلاوَة إلاَّ عَلَى وُضُوء، ويكبِّر لَهَا عِنْدَ السُّجُود، ولا يُسلِّم مِنْهَا عِنْد الرَّفْعِ من السُّجُود، ولكنَّهُ يُكبّر.

الرُّكْنُ الثَّالِث من أَرْكَانِ الإِسْلاَم
(هُو الزَّكَاة)

سَبَق أَنْ ذَكَرْنَا أَنَّ أرْكَانَ الإِسْلاَم، حَسَبَ مَا جَاءَ عَلَى لِسَان جِبريلَ علَيْهِ السَّلام خَمْسَة : وَهِي الشَّهَادتَان، والصَّلاَة، والزَّكَاةُ، والصِّيَام، والْحَجُّ.

يقولُ أحَدُ الشُّعَرَاء :

والبَيْتُ لاَ يُبْتَنَى إلاَّ لَهُ عمَدٌ ولاَ عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ

فرَأْسُ أرْكانِ الإِسْلام، الشَّهادَتَان، والأعْمِدَة، هِيَ الصَّلاَة، والزَّكَاة، وصِيَامُ رَمَضَان، وحَجُّ بيتِ اللَّهِ الحَرَام، وفي هَذا جاءَ الحَدِيث الصَّحيح أَيْضاً (بُنِيَ الإِسْلام عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ

أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاة، وحَجُّ البَيْت وَصَوْمُ رَمَضَان) رَواه البُخاري ومُسْلم.

فالعِمَادُ الأَوَّلُ بعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، هُوَ الصَّلاَة، وقَد تحدَّثْنَا عنْهَا بِتَفصِيل.

العماد الثاني للإسلام هو الزكاة

أمَّا العِمَاد الثانِي فهُوَ الزَّكَاة، وهِيَ زَكاة العَيْن أيْ الذَّهَبُ والفِضَّة وما يُقابِلُهُما، وزَكَاة الحَرْث، وزَكَاةُ المَاشِيَّة، وزَكَاةُ العَيْن، وَمِنْهَا زَكَاةُ التِّجَارَة، تُؤَدَّى فِى كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، والمِقْدَارُ الَّذِي تَبْتَدِئ مِنهُ الزَّكَاة، هُو عِشْرون دِينَاراً ذَهَبِيّاً، ويُقَوَّمُ الدِّينَارُ حَسَبَ الظُّرُوف والأعْصَار، ويؤدَّى فِيهَا رُبُعُ عُشُر الدِّينَار. أمَّا التَّقْوِيم حسَبَ الدِّرْهَم، فَيُقَوَّم أَيْضاً حَسَبَ قيمَتِه في الظُّرُوف والأعْصَار، ولْيُسْأل أَهْلُ المَعْرِفَة بالمَالِ والتَّقْوِيم. وزَكَاةُ المَاشِيَة، أي الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ واجِبَةٌ كَذَلك، وأنْصِبَتُها مُحدَّدَةٌ شَرْعاً، ولَقَد وضَّح عَبد الوَاحد ابنُ عاشِر في المُرْشِدِ المُعِين، أَيْنَ تَجِبُ الزَّكَاة، ومقدارُ أنْصِبَتِهَا فَقال :

فُرِضَتِ الزَّكَاةُ فيمَا يُرْتَسَمْ عَيْنٍ وَحَبٍّ وَثِمَارٍ وَنَعَمْ
فِي العَيْن والأنعام حَقَّتْ كُلَّ عَام يَكْمُلُ والحَبُّ بالإِفْرَاكِ يُرَامْ

وَالتَّمْرُ والزَّبِيبُ بالطِّيب وَفى ذي الزَّيْت مِنْ زَيْته والحَبُّ يَفي
وَهي فِي الثِّمَار والحَبِّ الْعُشَرْ أوْ نِصْفُهُ إن الَةً السَّقْيِ يَجُرْ
خَمْسَجُ أوْسُق نصَابٌ فيهمَا فـي فضَّـة قُـلْ مـائتَـان دِرْهَـمَا
عِشْرُونَ دينَاراً نِصَابٌ فِي الذَّهَبْ وَرُبْعُ الـعُشُـرِ فِيـهِـمَا وَجَبْ

إلَى آخِرِ التَّفاصيل التي يُرجَعُ فِيهَا إلى الشُّرَّاح.

الزَّكَاة فريضَةٌ فِي أَموَالِ الأَغْنِيَاءِ، لِصَالِحِ الْفُقَرَاءِ

الإِسْلاَمُ كَمَا هُو معْلُوم، جاءَ لإِصْلاح الفَرْدِ والمُجْتَمع، وإقَامَة العَدْل فِيه، مؤكّداً أنّ النّاس سَوَاسيَّة، يجب أن يَعِيشُوا مُطْمَئِنِّين مُرْتَاحِين، غيْرَ مُحتَاجِين ولاَ مقْهُورين، وإذَا كَان الحَقُّ تَعَالَى، كَتَبَ علَى الإِنْسَانِيَّة أنْ يَكُونَ فِيهَا الفُقَرَاء والأغْنِيَاء، فإنَّ الفُقَرَاء يَجِبُ أَنْ يَعِيشُوا مُطْمَئِنِّينَ عَلَى حَيَاتِهم، ضَامِنِينَ لعَيْشِهِم وَرَاحَتِهم، ولِذَلِك أوجَبَ سُبْحَانَه على الأغْنِيَاء أنْ يُعْطُوهم من أَمْوالِهم مَا يَضْمَنُون بِهِ عَيْشَهُم وراحَتَهم، حَتَّى لا يكونُوا عُرْضَةً للضَّيَاع والإهْمَال والْحاجَة والاسْتِعْطَافِ، فرض اللَّهُ الزَّكَاة، وجعَلَها ركناً من أرْكان الإِسْلاَم الخَمْسَة، وجعلَهَا مَقْرُونَة بالصَّلاةِ

الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّين، فَقَالَ فِي القُرْآن الكَرِيم فِي غَيْر مَا آيَة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاة﴾[15] وقالَ سُبْحانه : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِم﴾[16] وروَى عبدُ اللَّه بنُ عبّاس رضيَ اللَّه عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم لَمَّا بَعَث مُعاذَ بْنَ جَبَل رَضِيَ اللَّه عَنْه إلَى اليَمَن، قَالَ لَه : (إنَّك تَأْتِي قَوْماً أَهلَ كِتَاب، فادْعُهُم إلَى شَهَادَة أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّه، وأَنِّي رسُولُ اللَّه، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِك، فأعْلِمْهُم أنَّ اللَّه افْتَرَضَ عَلَيْهِم خمْسَ صَلَوَات فِي كُلّ يَوْم وَلَيْلَة، فَإن هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِك، فَأَعْلِمْهم أنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِم صَدَقَةً فِي أَمْوالهم، تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِم، وتُرَدُّ إلَى فُقَرَائِهم، فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِك، فإيَّاكَ وكَرَائِمَ أمْوالِهم، واتّقِ دَعْوَةَ المَظْلُوم، فإنَّهُ لَيْس بيْنَها وبيْن اللَّه حِجَاب).

وحذّرَ الحَقُّ سُبْحَانَه وتَعَالَى من بُخْل الأغْنِيَاء وعَدم أَدَائِهم الزَّكَاة فَقَال تَعَالَى : ﴿والَّذِين يكْنِزُون الذَّهَبَ والفِضَّة، ولا يُنفقُونَها فِي سَبِيل اللَّه. فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّم، فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهم وظُهُورُهم، هذَا ما كنزْتُم لأنْفُسِكم فذُوقُوا مَا كُنتُم تَكْنِزُون﴾[17].

(15) سورة البقة. الآية : 43.
(16) سورة التوبة. الآية : 103.
(17) سورة التوبة. الآية : 34-35.

مَصَاريف الزَّكَاة

بَيَّنَ القُرْآن الكَرِيمُ لِمَنْ تُعطَى الزَّكَاة، فَقَال تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ[1] والْمَسَاكِين[2] والعَامِلِينَ[3] عَلَيْهَا، والمُؤَلَّفَةِ[4] قُلوبُهُم وفِي الرِّقَابِ[5] والغَارِمِين[6] وفي سَبِيل[7] اللَّه وابنِ[8] السَّبِيل فَرِيضَةً مِنَ اللَّه﴾[18] ثَمَانِيَة أصْناف تُعطَى لَهُم الزَّكَاة ، هم المَذْكورون فِي الآيَة الكَرِيمَة.

مِقْدَارُ مَا يُعْطَى الفَقِيرُ مِنَ الزَّكَاة

الفُقَرَاءُ والمَسَاكِين : هُم المُحتاجُون الَّذين لا يَجِدُون كِفَايَتَهُم، وَيُقابلُهُم الأَغْنِيَاء الَّذينَ تَجِبُ عَلَيْهِم الزَّكَاة فَيدفَعون لِلْفُقَرَاء ما يَحْتَاجُون إِلَيْه. ومِقْدَارُ مَا يُعْطَى الفَقِيرُ مِنَ الزَّكَاة، كفايَةُ الفَقِير وسَدُّ حاجَتِه فيُعْطَى من الصَّدَقَة، القَدْرُ الَّذِي يُخْرِجُه من الفَقرِ إِلَى الغِنَى، ومِنَ الحاجَةِ إِلَى الكِفَايَة، قالَ عُمرُ بنُ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ : (إِذَا أَعْطَيْتُم فَأَغْنُوا)، وقالَ القَاضِي عبدُ الوهَّاب من علماء المَالكيَّة : (لَمْ يَحُدَّ مَالِكٌ لِذَلِكَ حَدّاً).

والزَّكَاة لا يَجُوزُ نقلُها مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، ويجبُ صَرْفُهَا فِي مَوْضِع الوُجُوب أو قُرْبِه، فإن كَانَ الرَّجُل في بَلَد، ومالُه في بَلَدٍ آخر، فالمُعتَبَر ببَلَدِ المالِ.

(18) سورة التوبة. الآية : 60.

زَكَاة الفِطْر

زَكَاةُ الفِطْر هِيَ الصَّدَقَة التِي يُتَصَدَّقُ بِهَا يِوْمَ عِيدِ الفِطْرِ قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَى المُصَلَّى، لأَدَاءِ صَلاَةِ العِيدِ، وَهِيَ سُنَّة وَاجِبَة فَرَضَهَا رَسُولُ اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم عَلَى كُلِّ كَبِيرٍ وَصَغِير، ذَكَرٍ وأُنْثَى، منَ المُسْلِمين، صَاعاً على كُلِّ نَفْسٍ بِصَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم، وتُؤَدَّى مِنْ جُلّ عَيْشِ أَهْلِ البَلَدِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ المُتَصَدِّق مِثْلُ الزَّرْع والشَّعِير والذُّرَة.

ومِن المُسْتَحَبَّاتِ فِي يَوْمِ العِيدِ أنْ يَمْضِيَ إِلَى المُصلَّى مِنْ طَرِيقٍ، وَيَرْجعَ مِنْ أُخْرَى، والصَّغِيرُ الَّذِي لا مَال لَه يُخرِجُ عَنْهُ وَالدُه، كمَا أنَّه يُخْرِجُ عَنْ كُلِّ مَنْ تَلزمُه نَفَقَتُه، قالَ رسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم كَمَا رَوَاه عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم زَكَاةَ الفِطْر مِنْ رَمَضَان، صَاعاً مِن تَمْر، أوْ صَاعاً مِنْ شَعِير، عَلَى العَبْدِ والحُرِّ، والذَّكَر والأُنْثَى، الصَّغِير والكَبِير مِنَ المُسْلِمِين) رواه البُخَاريّ ومُسْلم.

عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ : فَرَضَ رسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّم زَكَاة الفِطْر طُهْرَةً (أيْ تَطْهِيراً) لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ (أي القَولُ الفَاحِش) وطُعْمةً لِلْمَسَاكِين، مَن أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَة (أي صلاةَ العِيد) فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَات (لا غَير).

تُعْطَى للأَصْنَاف الثَّمَانِية المذكُورة في آيَة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِين﴾[19] المذكُورةِ فِي آية الزكاة، وقال صلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم عَنْهَا فِي حَدِيث آخَر : (أَغْنُوهُم فِي هَذَا اليَوْم) أَيْ أغْنُوا الفُقَرَاءَ يَوْمَ العِيد.

الركن الرابع من أركان الإسلام :
الصـــيـــــام

فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَان، وَهُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَم الخَمْسِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الوَحْيُ مِنَ السَّمَاء، وَجَاءَتْ بِهِ آيَةُ الصِّيَام الَّتِي تقُول : ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾[20] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وبيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى والفُرْقَان، فَمَنْ شَهِدَ منكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه، ومَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَر، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾[21].

(19) سورة التوبة. الآية : 60.
(20) سورة البقرة. الآية : 183-184.
(21) سورة البقرة. الآية : 185.

وَيَجِبُ الصِّيَام عِنْد ظُهُورِ الهِلاَل، كما يَجبُ الفِطْرُ عِنْدَ ظُـهُـورهِ لَـيْـلَـةَ عِـيد الفِـطْرِ، سَوَاءٌ كَانَ ثَلاَثِينَ يَوْماً، أَوْ تِسْعَةً وعِشْرِين يَوْماً.

ويَجب أن يَنْوِيَ الصِّيَامَ فِي اللَّيْلَة الأُولَى مِن غُرَّة الشَّهْرِ، ويَنْوِيَ صِيَام الشّهْرِ كُلّه، فَإِذَا انْقَطَعَ صَوْمُ الصَّائِم لمُوجِبٍ شَرْعِيٍّ، كالمَرَض، فَعَلَيْه إِعَادَةُ النِّيَّة لَدَى بُرْئِه وشُرُوعِه فِي الصِّيَام، ومِن السُّنَّة تَعْجِيل الفِطْر، وتَأْخِيرُ السُّحُور، ولاَ يُفْطِر الصَّائِمُ حَتَّى يتَحَقَّقُ مِنْ وَقْتِ غُرُوبِ الشَّمْس، وَأَذَانِ صَلاَةِ المَغْرِب، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَدَمُ الأَكْلِ عِنْدَ دُخُولِ وقْتِ صَلاَة الصُّبْحِ، وَلاَ يُصَامُ وَلاَ يُفْطَر يَوْمُ الشَّكِّ، وَهُوَ اليَوْم الَّذِي يَظُنُّ الصَّائِمُ رُبَّما يَكُونُ الشَّهْرُ ثَبَتَ وَلَمْ يَرَهُ. وَمَنْ لَمْ يثبُتْ عِنْدَه ظُهُورُ الهِلاَل، فَلَمْ يصُمْ، ثمَّ لَمَّا أَصْبَح بَلَغَهُ أنَّ الشَّهْر ابْتَدَأ، انْقَطَعَ عن إِفْطَارِه وَشَرَعَ فِي الصِّيَام فِي الْحِين، ويقْضِي ذَلِكَ اليَوْمَ الَّذِي أَفْطَر فِيهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَصْبَحَ صائِماً آخِرَ يَوْمٍ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ ثَبَتَ أنَّ الهِلاَلَ قَدْ ظَهَر لَيْلَة العِيدِ، فإِنَّه يُفْطِرُ وُجُوباً. وَإِذَا طَهُرَتْ الحائِضُ نَهَاراً، فَلَهَا الأَكْلُ فِي يَوْمِهَا، وَمن ذَرَعَه القَيْءُ فِي رَمَضَان فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْه، فإن اسْتقَاءَ فَقَاءَ،

فَعَلَيْهِ القَضَاءُ، وإن خَافَتْ الحامِلُ عَلَى حَمْلِهَا أفْطَرَتْ، والْمُرْضِعُ إنْ خَافَتْ عَلَى وَلَدِها، وَلَم تِجِدْ مَن تَسْتَأجِرهُ لَه مَثَلاً، تُفْطِر وتُطْعِم. والإِطْعَامُ أنْ يَتصَدَّقَ المُفْطِرُ عَلَى الفُقَرَاء بمُدٍّ واحِدٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ أَفْطَرَ فِيهِ وَيَقْضِيهِ، وَمَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ سَاهِياً، فَعَلَيْهِ القَضَاءُ عَلَى مَذْهَب المالِكيَّة، وتَجِبُ الكَفَّارَةُ علَى المُفْطِر مُتَعَمِّداً دُونَ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، والكَفَّارَةُ إطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً، لِكُلِّ مُسْكِين مُدٌّ مِن أمْدَاد النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم، وَمَن أَنْكَرَ وُجُوبَ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَان، فَهوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ الإِسْلام.

فَضْلُ شَهْرِ رَمَضَان

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ: (إنَّ لِلْجَنَّة بَاباً يُقَالُ لَه الرَّيَّانُ، يُقَالُ يَوْمَ القِيَّامَة أَيْنَ الصَّائِمُون؟ فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهم، أُغْلِقَ ذَلِكَ البَابُ) رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِم.

وعنْ أَبِي هُرَيْرَة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إلاَّ الصِّيَام فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أجْزِي بِهِ، والصِّيَام جُنَّةٌ (أي مَانِعٌ منَ المَعْصِيَّة) فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْم

أَحَدِكُم، فَلاَ يَرْفُثْ (أيْ لاَ يَقُولُ الكَلاَم الفَاحِش) وَلاَ يَصْخَبْ (أيْ لا يَصِيح) ولاَ يجْهَل (أيْ لا يَسْفَهُ) فإن شاتَمَه أَحَدٌ، أو قَاتَلَه، فلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ (مَرَّتَيْن) والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، لخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّه يَوْم القِيَامَة مِنْ رِيحِ المِسْك، ولِلصَّائِم فَرْحَتَان، يَفْرَحُهُما : إِذَا أَفْطَرَ فَرِح بِفِطْرِه، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّه، فَرِحَ بِصَوْمِه) رواه مُسْلِم وأحْمَد والنِّسَائي.

عَلَى مَنْ يَجبُ الصِّيَام ؟

أجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أنَّ الصِّيَام يَجِبُ علَى المُسْلِم العَاقِلِ البَالِغِ، الصَّحِيح، الْمُقِيم (غَيْر المُسافِر) وأَنْ تكُونَ المَرْأَة طَاهِرَةً مِنَ الحَيْضِ والنِّفَاس.

صِيَام الصَّبِيّ

لاَ يَجِبُ الصِّيَامُ عَلَى الصَّبِيِّ، ولكنَّه إِذَا بَلَغَ مِنَ السِّنِّ مَا يستَطِيعُ أنْ يَصُوم فِيه، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِوَلِيّ أمْرِهِ أنْ يَأْمُرَهُ بِهِ، لِيَتَدَرَّبَ عَلَيْهِ وَيَعْتَادَهُ مِنْ صِغَرِه. فلَقَدْ رَوَتِ الصَّحَابِيَّة الرُّبيّع بِنْتُ مُعَوِّذ، قَالَتْ : أَرْسَلَ رسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم

صَبِيحَةَ عَاشُوراء إِلَى قُرَى الأَنْصَار : (مَنْ كَانَ أَصْبح صَائِماً فلْيُتِمّ صَوْمَه، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِراً فلْيَصُمْ بَقِيَّةَ يَوْمِه : فَكُنَّا نَصُومُه بَعْدَ ذَلِك، ونُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُم، ونَذْهَبَ إِلَى المَسْجِد، فنجْعَلَ لهم اللُّعْبَةَ مِن العِهْنِ (الصُّوف) فَإِذَا بَكَى أَحَدُهم مِنَ الطَّعَام، أَعْطَيْناهُ إِيَّاهُ، حَتَّى يَكُون عِنْدَ الإِفْطَار) رواه البُخاريّ ومُسْلِم.

صيَّامُ التَّطوُّع

يقول صاحب المُرشد المُعِين :

صيام شَهْرِ رَمَضَانَ وَجَبَ فِي رَجَبٍ شَعْبَانَ صَوْمٌ نُدبَا
كتِسْعِ حِجَّة وَأَحْرَى الآخِرْ كَذا المُحَرَّمُ وَأَحْرَى العَاشرْ

وعن أبي أيُّوب الأنصَاري : أنّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ : (مَنْ صَامَ رَمَضَان، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شُوَّال، فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ).

ومن الأحْسَنِ أنْ تَكُونَ الأَيَّامُ السِّتُّ مُتَتَابِعَة.

وعن أبِي قَتَادَة، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَة، يُكفّرُ سَنَتَيْن : مَاضِيَة، ومُسْتَقْبَلَة).

وعَن حَفْصة قالت : أرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يدَعُهنَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم : صِيَامُ عَاشُوراء، والعَشْر (عشر ذِي الحِجَّة) وثَلاثَة أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، والرَّكْعَتَيْن قبْل الغَدَاة (الظُّهْر) رواه أحْمَد والنِّسَائي.

وعنْ عَائِشَة : مَا رَأيْتُ رسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وسلَّم اسْتَكْملَ صِيَامِ شَهْرٍ قَطُّ، إلاَّ شَهْر رَمَضَان، وَمَا رَأيتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَر مِنْهُ صِيَاماً فِي شَعْبَان. رواه البُخَاريّ ومُسْلم.

الكَفُّ والاِبْتِعَادُ عَمَّا يَتَنَافَى مَعَ الصِّيَام

الصِّيَام فِي الشَّرْع الكَفُّ عَن شَهَوَاتِ البَطْنِ والفَرْجِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ القُرُباتِ عِنْدَ اللَّهِ ويَقُول اللَّه فيه : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَام كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِّينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقون﴾[22] فَالصِّيَامُ طَرِيقُ التَّقْوَى، وتَقْوَى اللَّه تَعَالَى تَدْعُو إِلَى اجْتِنَابِ كُلِّ ما نَهَى عَنْهُ، وَمِنْهُ الْغِيبَةُ، والنَّمِيمَةُ، وَلَغْوُ الكَلاَمِ والرَّفَث، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قالَ : (لَيْسَ الصِّيَام منَ الأَكْلِ والشُّرْب، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ، فقُلْ إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ).

(22) سورة ا.لبقرة الآية : 183.

الاجتهاد فِي العِبَادَة
فِي العَشر الأَوَاخِر مِن رَمَضان

عن عائِشَة رضِيّ اللَّه عنهَا : أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم كانَ إِذَا دَخَلَ العَشْر الأَوَاخِر، أحْيَى اللَّيْل، وَأَيْقظَ أَهْلَه، وشَدَّ المِئزَر، وَفِي رِوَايَة لمُسْلِم : وَكَانَ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِه.

ويُطْلَبُ فِي رَمَضَان الإِكْثَارُ مِنْ تِلاَوَةِ القُرْآن، فَلَقَدْ ورَدَ أنَّ جِبْرِيل كَانَ يلقَى رسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَان، فَيُدَارِسُهُ القُرْآن، فَلَرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ.

الرُّكْنُ الخَامِسُ مِنْ أَرْكانِ الإِسْلام :
الحَـــجُّ

أَرْكَانُ الإِسْلاَم الخَمْس الَّتِي لاَ يَجُوزُ عَدَمُ أَدَائِها، لأَنَّها أَسَاسُ الإِسْلاَم، وَلاَ يَكُونُ المُسْلِم مُسْلِماً حَقّاً وَصِدْقاً إِلاَّ إِذَا آمَنَ إِيمَاناً صادِقاً بِها، وَأَدَّاهَا كَمَا فرَضَهَا اللَّه عَلَيْه مِنْ فَوْقِ سَبْع سَمَاوَاتٍ، والَّتِي قَالَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم إِنَّها هِـيَ الدِّينُ

الَّذِي أَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِيُعَلِّمَه لَصَحَابَةِ رسُولِ اللَّه، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ والَّذِى تحدَّثْنا عَنْهُ فِي الحَلَقَات السَّابِقَة وذَكَرْنَا : الشَّهَادَتَيْن والصَّلاَة، والزَّكَاةَ والصِّيَام وَبَقِيَ الرُّكْن الخَامِسُ وَهُوَ حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الحَرَام مَرَّةً فِي العُمُر.

فَحَجُّ بَيْتِ اللَّه الحَرَامِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة، فَرِيضَةٌ أَسَاسِيَّة حَتْمِيَّةٌ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً مَنَ المُسْلِمِين الأَحْرَار البَالِغِين المُكَلَّفِين مَرَّةً فِي العُمُر.

والاِسْتِطَاعَةُ تكُونُ بِالمَالِ أيْ إِنَّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَالٌ يَكْفِيه لِلْوُصُول إِلَى مَكَّة لأَدَاءِ شَعَائِرِ الحَجِّ، دُونَ مَشَقَّةٍ كُبْرَى، سَوَاءٌ بِوَاسِطَةِ السَّيَّارَة أَوِ الطَّائِرَة أَوِ البَاخِرَة أو الدَّابَّة، أو يَكُونُ الحاجُّ رَاجِلاً مُسْتطيعاً، لا يَجِبُ عَلَيْه حَجٌّ، وكذَلك لا يَجبُ الحَجُّ عَلَى مَنْ لَيْس عِنْدَه ما يترُكُه لأهْلِهِ وبَنِيهِ الَّذِين يجِبُ علَيْه النَّفَقَةُ عَلَيْهِم.

وأَرْكَانُ الحَجِّ أرْبَعَة كما ذكَرَ ذَلِك ابْن عَاشر في مَنْظومته حيْثُ يَقُول :

الـحـجُّ فَـرْضٌ مَـرَّةً فِـي الـعُـمُـرِ أَرْكَـانُـه إِنْ تُـرِكَـتْ لَـمْ تُـجبَـر

(1) الإحْرَامُ (2) والسَّعْيُ (3) وُقُوف عرفَة لَيْلَةَ الأَضْحَى(4) والطَّوافُ رَدِفَهُ

والإِحْـرامُ يـكـونُ مِـن الـمِـيـقَـاتِ الَّـذِي وَضَّـحَتْه لَنَا السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة، فَلكُلّ بَلَد مِيقَاتُهَا، فَمِيقَاتُ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ مِنَ المَغْرِب هُوَ الجُحْفَة : عَلَى نَحْو خمْس مراحِل مِنْ مَكَّةَ، ومَكَانُ الإِحْرَام مَعْرُوفٌ، لاَ يَجُوزُ أن يَتَعَدَّاهُ قَاصِدُ الحَجّ بأيّ وَجْهٍ منَ الوُجُوه، سَواءٌ كَانَ راجِلاً أوْ رَاكِباً، وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَى الحَجِّ عَنْ طَرِيقِ المَدِينَةِ المنُوَّرَة، يُحْرِم منْ ذِي الحُلَيْفَة وتسمَّى (آبَار عَليّ) والرَّاكِبُون فِي الطَّائِرَة، يُحرِمُون مِنْهَا عِنْدَمَا تُحلِّق الطَّائِرَةُ فَوْقَ المِيقَات، وإِذَا تعَذَّرَ لهُم ذَلِك، يؤخِّرون الإِحْرَامَ إِلَى جَدَّة، أَوْ إِلَى ذِي الحُلَيْفَة، إِنْ كانُوا سَيَمُرُّونَ عَن طَرِيق المَدِينَة المنَوَّرَة.

وَعِنْدَ الإِحْرَام يُسْتَحَبُّ أنْ يَغْتَسِلَ أَوَّلاً، وَيَنْوِي الإِحْرَامَ بالحَجِّ أَو بالعُمْرَة، أَوْ بِهِمَا مَعاً، ثُمَّ يتجرَّدُ مِنْ ثِيَابِه، يتجَرَّدُ من مَخِيطِ الثِّيَاب، ولاَ يَبْقَى إِلاَّ بِإِزَارٍ وَرِدَاءٍ. ثُمَّ يُصَلِّي ركْعَتَيْن بِسُورَة (الكَافِرُون) في الأُولَى، وسُورَة (الإِخْلاَص في الثَّانِيَّة)

وَيَبْدَأُ بالتَّلْبِيَة، وهيَ : (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْك، إِنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَة لَكَ والمُلْك، لاَ شَرِيكَ لَكَ) وَلاَيَزال يُلَبِّي دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ، وَعِنْد كُل شَرَف (أي مَكانٍ عالٍ) وَعِنْدَ مُلاَقَاةِ الرِّفَاق، ويقْصِد بَيْتَ اللَّه الحَرَام، ولَدَى دُخُولِه المَسْجِد الحَرام، يُبَسْمِل، ويُكَبِّر، ويَدْعُو اللَّه بِما يَسْتَحضِرُه مِنْ دَعَوَاتٍ، مُمْسِكاً عن التَّلْبِيَة، ثُمَّ يَذْهَب قَاصِداً الكَعْبَة المُشَرَّفَة، بادِئاً بالرُّكْن الَّذِي يُوجَدُ فِيهِ الحَجَر الأَسْوَد، حَيْثُ يُكبِّرُ ويُهَلِّلُ، واضعاً يَدَه إنِ اسْتَطَاعَ عَلَى الحَجَر الأَسْوَد واستلامَهُ بفمِه إِنْ قَدَر، ثم يَشْرَع في الطَّوَاف جاعِلاً الكَعْبَة المُشرَّفَة علَى يَسَارِه، ويبْدَأُ بالطَّوَافِ، سَبْعَة أَطْوَافٍ، الثَّلاَثَة الأُولَى مِنْهَا خَبَباً أيْ جَرْياً، وأَرْبعةٌ منها سَيْراً عادِياً، وَعِنْدَما يَصِلُ إِلَى الرُّكْن اليَمَانِيُّ يُكبِّر، وَلاَ يستَلمُه بفِيهِ، ولكِنْ بِيَدِه، ثُمَّ يضعُها عَلَى فَمِه مِنْ غَيْرِ تَقْبِيل، سَواءٌ فِي المَرَّة الأُولَى أَوْ فِيمَا بَعْدَهَا.

فَإِذَا انْتَهَى مِن الطَّوَافِ سَبْعَ مَرَّات، قَصَد مَقام إِبْرَاهِيمَ عَلَيْه السَّلاَم، ورَكَعَ رَكْعَتَي الطَّوَافِ، الأُولَى بِسُورَة (الكَافِرُون) والثَّانِيَّة بِسُورَة (الإِخْلاَص) ثُمَّ يَخْرُج قَاصِداً (الصَّفَا) فَيَقِف

فَوْقَها موَجِّهاً وَجهَه إِلَى الكَعْبَة، داعِياً اللَّه تَعَالَى، مُبْتَهِلاً إِلَيْه بِمَا يَحضُره من الأَدْعِيَة، وَأَثْنَاءَ شُرُوعِهِ في السَّعْي إِلَى (المَرْوَة) يمرُّ أَوَّلاً بمكانٍ يُسمَّى (بَطْن المَسيل) ويوجَدُ في جِدارِه الأَيْمَن أَضْواءٌ خَاصَّة تُشِيرُ إِلَيْه، وَفِي بَطْن المَسِيل هَذَا، يَخُبُّ أيْ يُسْرِعُ فِي سَيْرِه، كَأَنَّه يَجْرِي جَرْياً، قاصِداً (المَرْوَة) ثُمَّ بَعْدَ وُقُوفِه عَلَى المَرْوَة وتَوَجُّهِه إِلَى الكَعْبَة بالدُّعَاء مِثْل مَا فَعَلَ فِي (الصَّفَا) يَرْجِع مِنَ الطَّرِيقِ اليُمْنَى قَاصِداً (الصَّفَا) وَهَكَذَا يَسْعَى بَيْنَ (الصَّفَا والمَرْوَة) سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَيَقِفُ أَرْبَعَ وَقَفَاتٍ عَلَى (الصَّفَا) وأَرْبَعاً عَلَى (المَرْوَة) ثُمَّ بَعْدَ شُرْبِهِ مِنْ مَاءِ (زَمْزَم) ووُقُوفِه أمَام الكَعْبَة، وتعلُّقِه بأَسْتَارِها للدُّعَاءِ والاِبْتِهَال، يكُونُ قَدْ أَنْهَى مَنَاسِك الطَّوَافِ والسَّعْي.

وَيَوم ثامِن ذِي الحِجَّة، وَهُوَ يَوْم (التَّرْوِية) يَخْرُجُ مِن مَكَّة قَاصِداً (مِنىً) فَيُصَلِّي بِهَا الظُّهْرَ والعَصْر والمَغْرِبَ والعِشَاءَ والصُّبْحَ، وَفِي صَبَاح اليَوْم التَّاسِع مِنْ ذِي الحِجَّة، يَخْرُجُ مِنْ (مِنىً) قَاصِداً (عَرَفَات)، مُعَمِّراً وَقْتَه بالتَّلْبِيَة فِي هَذَا كُلِّه، حتَّى تُزُول الشَّمْسُ مِنْ يَوْم (عَرَفَة) وَيَرُوح إِلَى مُصَلَّى (مَسْجِد) عَرَفَة مُتَطَهِّراً، فيَجْمَعَ بَيْنَ صَلاَتَي الظُّهْر والعَصْرِ مَعَ الإِمَام، إِنْ أَمْكَنَه

ذَلِك، ثُمَّ يَرُوحُ إِلَى مَوقف (عَرَفَات) فَيَقفُ مَعَ الحُجَّاج إِلَى غُرُوب الشَّمْس، أَيْ بَعْد أَنْ تَغْرُب الشَّمْسُ بهُنَيْئة، داعِياً اللَّه بِصِدْق توجُّه، خاشِعاً خاضِعاً راجِياً منْ رَبِّه أنْ يَغْفِر ذَنْبَه، وَيَتُوبَ عَلَيْه، مُسْتَحضِراً فِي دَعَوَاتِه والِدَيْه وَإِخْوَانِه وَأُمَّتَه الإِسْلاَمِيَّة، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِك يَقْصِد (المُزْدَلِفَة) مُصَلِّياً مَعَ الإِمَام إِنْ تَيَسَّرَ : المَغْرِب والعِشَاء والصُّبْح، ثُمَّ يَقْصِد مَكَاناً يُسَمَّى بـ(المَشْعَر الحَرَام) ذاكِراً اللَّه، سائِلاً الخَالِق جَلَّ وَعَلاَ الهِدَايَة والغُفْرَان ﴿فاذْكُرُوا اللَّه عِنْدَ المَشْعَر الحَرَام، واذْكُرُوه كَمَا هَدَاكُم، وَإِنْ كُنْتُم مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّين﴾[23] ثُمَّ يقصِد (مِنىً) قُرْبَ طُلُوع الشَّمْس مِنْ يَوْمِ العِيد، فَإِذَا وَصَلَها رمَى بِسَبْع حَصَيَاتٍ مِقْدَار (التَّمرة) يكُونُ قَدْ جَمَعَها مِنْ طَرِيقِهِ فِي (المُزْدَلِفة) مكبّراً مَعَ كُلِّ حَصَاة (حَجَرة)، وَمَكَانُ رَمْيِ الحَصَيَات يُسَمَّى (جَمْرَة العَقَبَة) ثُمَّ ينْحَر هَدْيَه إِنْ كَانَ عَلَيْه هَدْي، ثُمَّ يَحْلِقُ رأْسَه أوْ يُقَصِّر، ثُمَّ يَقْصِد بَيْتَ اللَّه الحَرَام لأَدَاءِ الرُّكْنِ الرَّابِع مِنْ أَرْكَانِ الحَجِّ وَهُوَ طَوَافُ الإِفَاضَة، فَيَطُوفُ سَبْعَ مَرَّات، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْن (ركعتي الطَّوَاف) وبعد انتِهَائِه يقْصِد (مِنىً) لِيُقِيم بِهَا ثَلاَثَة أَيَّام إِنْ لَمْ يَسْتَعْجِلْ (أَيْ يُقيم يَوْمَين

(23) سورة البقرة. الآية : 198.

لاَ غَيْر) فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا، رمَى الجَمْرَة التِي تَلِي (مِنىً) بِسَبعِ حَصَيات مِثل السَّابِقَة، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاة، ثُمَّ يَرْمِي الجَمْرَة الَّتِي تَلِيهَا مُكَبِّراً دائِماً دَاعِياً، فَإِذَا رَمَى فِي اليَوْم الثَّالِث وَهُوَ رَابِعُ يَوْم النَّحْر، انصَرَفَ إِلَى مَكَّة المُكَرَّمَة، وَقَدْ تَمَّ حَجُّه، فَإِذَا عَزَم عَلَى الخُرُوج مِنْ مَكَّة، طَافَ طَوَافَ الوَدَاع وَرَكَعَ رَكْعَتَيْن، وانْصَرَفَ قَاصِداً المَدِينَة المُنَوَّرَة إِنْ أَرَادَ، لِيَزُور قَبْر الرَّسُول صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم وَيُسَلِّم عَلَيْه.

سُنَّة العُمْرَة

مِن سُنَنِ الإِسْلاَم المُؤَكَّدَة، سُنَّة العُمْرة، وهِيَ القَصدُ إِلَى مَكَّة المُكَرَّمَة لأَدَاءِ سُنَّة العُمْرَة، وخُصوصاً فِي شَهْر رَمَضَان. فَعُمْرةٌ فِي رمَضَان تَعْدِل حَجَّةً.

وَأَفْعَال ومَنَاسِك العُمْرَة، مِثْل مَنَاسِكِ الحَجِّ بالضَّبْطِ، بِاسْتِثْنَاءِ الوُقُوف بِعَرَفَة، فَلَيْسَ فِي العُمْرَة وُقُوفٌ بعَرَفَات، وإِنَّمَا فِيهَا الإِحْرَام والطَّوَافُ والسَّعْيُ.

وكُلُّ ما ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَحْكَامٍ وَشُرُوط فِي الحَجِّ، وَاجِب فِي العُمْرَة، فَفِيهَا الإِحْرَام مِن المِيقَات، بَعْد التَّجرُّد من المَخِيط والمُحِيط، وفِيهَا التَّلْبِيَّة، الخ.

وبعْدَ الانْتِهَاء مِن أَدَاءِ المَنَاسِك يَحلِقُ المُعْتَمِرُ رَأْسَه، أَوْ يُقَصِّر شَعْرَهُ وَقَدْ تَمَّتْ عُمْرَتُه.

المُحرَّمَات فِي الحَجِّ والعُمْرَة

مِن المُحَرَّمَات الَّتِي لاَ يَجُوزُ الإِقْدَامُ عَلَيْهَا فِي الْحَجِّ والعُمْرَة : (1) النِّسَاءُ، فَلاَ يَجُوز لِلْحَاجِّ والمُعْتَمِر أنْ يقْرُب منْ امْرَأَتِهِ أَثْنَاءَ فَتْرَة الحَجّ والعُمْرَة، (2) الطِّيب، فَلاَ يَجُوز التَّطَيُّبُ فِي الحَجِّ والعُمْرَة، (3) مَخِيط الثِّيَاب : لاَ يَجُوزُ للحَاجِّ أَنْ يَلْبَس ثَوْباً مَخِيطاً، (4) لاَ يَجُوزُ قَتْلُ الدَّوَابِّ إِلاَّ إِذَا كانَتْ مُؤْذِيَة مِثْل العَقْرَب، (5) وَلاَ يجُوزُ لِلْحاجّ والمُعْتَمر تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ إِلاَّ لِضَرُورَة، فَإِذَا كانَتْ هُناكَ ضَرُورَةٌ لِتَغْطِيَة الرَّأْسِ أَوْ وَجْهِه، فَعَلَيْه أَنْ يَفْتَدِي، إِمّا بِصِيَام ثَلاَثِ أَيَّام، أَوْ إِطْعَام سِتَّة مَسَاكِين، مُدَّين لِكُلِّ مِسْكِين بمُدّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، (6) أو يَنْسِك بِشاةٍ يَذْبَحُها حَيْثُ شَاءَ مِنَ البِلاَد.

والمَرْأة تُحْرِم بِكَشْفِ وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا، والرَّجُلُ يُحْرِم بِكَشْف وَجْهِه ورَأْسِه، وينْتَعِل نَعْلَين فِي رِجْلَيه.

أنواعُ الإِحْرَام

المُحْرِمُ بِالحَجِّ ثَلاثَة أَنْوَاعٍ : (1) الإِفْرَادُ بالحَجِّ، أَيْ أَنْ يَنْوِيَ الحَجَّ وَحْدَه دُونَ عُمْرَة، وَهُـوَ أَفْضَلُ عِنْـدَ المَالِكِيَّة، (2) التَّمَتُّع، وهوَ أنْ يَنْوِي أَدَاءَ العُمْرَة أَوَّلاً، ثُمَّ يتحلَّلُ مِنْ عُمْرَتِهِ، إِلَى أنْ يَجِيءَ اليَوْمُ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الحِجَّة مَثَلاً، ثُمَّ يَنْوِي الحَجَّ بِإِحْرَام آخَرَ، فهَذَا عَلَيْه هَدْيٌ (يَذْبَحُه أَوْ يَنْحَرُه بِمِنىً، إِنْ أوقَفَهُ بِعَرَفَة، وَإِنْ لَمْ يُوقِفْهُ بِعَرَفَة، فلْيَنْحَرْ بِمَكَّة، بَعْدَ أَنْ يَدْخُل بِهِ مِن الحِلّ) ونظَراً لِبَعْضِ الصُّعُوبَات الَّتِي بَدَأَتْ تَظْهَرُ فِي الذَّبْح، نَظَراً لِكَثْرَة الحِجِيج فَهُنَاكَ جَمَاعَات مُعْهَدٌ إِلَيْهَا أَنْ تَنُوبُ عَنِ الحجَّاج للتَّكلُّف بالْهَدْي، بَعْدَ أَنْ تُؤَدَّى لَها أَثْمَانُ الهَدْي، لِتَشْتَرِيَه وتَدْفَعُهُ للمُسْتحِقّين، (3) النَّوْعُ الثَّالِث مِنْ أَنْوَاع نِيَّة الحَجّ، هُوَ نَوْعُ (القِران) وصِفَةُ القِران أن يُحرِم بحَجَّة وعُمْرَةٍ مَعاً، وَيَبْدَأ بالعُمْرَة فِي نِيَّتِه، ثُمَّ يُرْدِف الحَجَّ عَلَى العُمْرَة قَبْلَ أَن يَطُوفَ وَيَرْكَع فَذَاكَ هُو القَارِن.

أَحَادِيثٌ نَبَوِيَّة فِي الحَجِّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال : سُئِلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم، أَيُّ الأعمَالِ أَفْضَل ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ ورَسُوله، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّه، قِيل : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُور.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّه، تَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَل، أَفَلاَ نُجَاهِد ؟ قَالَ : لَكنْ أَفْضَلُ الجِهَادِ : حَجٌّ مَبْرُور، رواه البُخَاريّ ومُسلِم.

وعن أَبِي هُرَيْرَة، أنَّ رسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ : (الحُجَّاج والعُمَّار، وفْدُ اللَّه، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُم، وَإِنْ اسْتَغْفَرُوه غَفَرَ لَهُم) رواه النّسَائِي وابنُ ماجَهْ ابْنُ خُزَيْمَة.

وروَى البُخَاري ومُسْلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أيضاً قَال : قالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (العُمْرَة إِلَى العُمْرَة كَفَّارَة لِمَا بَيْنَهما، والحَجُّ المَبْرُور لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّة).

وعن جابر، أنَّ رسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : (هَذَا البَيْتُ دَعَامَة الإِسْلاَم، فَمَنْ خَرَج يؤمُّ هَذَا البَيْت مِنْ حاجّ أو مُعْتَمِر، كانَ مَضْمُوناً علَى اللَّه إِن قَبَضَه أَنْ يُدْخِلَه الجَنَّة، وَإِنْ رَدَّهُ رَدَّهُ بِأجْرٍ وَغَنِيمَة.

زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيّ سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم والصَّلاَة فِي مَسْجِدِه

يَقُولُ ابنُ عاشِر فِي «المُرْشِد المُعين، عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ عُلُومِ الدِّين» بَعْدَ أَنْ أَنْهَى حَدِيثَه عَنِ الحَجِّ وَأَحْكَامِه :

وَسِرْ لِقَبْرِ المُصْطَفَى بِأَدَب ... وَنِيَّةٍ تُجَبْ لِكُلِّ مَطْلَبِ
سَلِّمْ عَلَيْهِ ثُمَّ زِدْ لِلصِّدِّيقْ ... ثُمَّ إِلَى عُمَرَ نِلْتَ التَّوْفِيقْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَا المَقَامَ يُسْتَجَابْ ... فيهِ الدُّعَا فَلاَ تَمَلَّ مِنْ طَلَبْ
وَسَلْ شَفَاعَةً وَخَتْماً حُسْنَا ... وَعَجِّلِ الأَوْبَة إِذْ نِلْتَ الْمُنَى

أي أنَّ الحاجَّ إِذَا أَتَمَّ نُسُك الحَجِّ جميعَها، وعزَمَ عَلَى الخُرُوج مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَة فإن المَطْلُوبَ مِنْهُ، أنْ يقْصِدَ المَدِينَةَ المُنَوَّرَة لزِيَارَة قَبْرِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَعَلَى صَاحِبَيْه : أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق وعُمَر بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، المَدْفونَيْن بِجَانِبِهِ دَاخِلَ المَسْجِد النَّبَوِيِّ. ولَدَى دُخُولِه مِنْ بَابِ السَّلاَم أَوْ غَيْره حَسَبَمَا يتَيَسَّر لَه، يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْصِدَ الرَّوْضَة الشَّرِيفَة، وَهِيَ المِسَاحَة الواقِعَة بَيْن قَبْر الرَّسُول عَلَيْهِ السَّلاَم وَمِنْبَرِه، (أي المَكَان الَّذِي كَانَ فِيهِ مِنْبَر رَسُول اللَّه يخطُبُ عَلَيْه السَّلاَم)، ليؤَدِّي أوّلاً تَحِيَّة المَسْجِد بمِحْرَاب

رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم إِنِ اسْتَطَاع ذَلِكَ، نَظَراً لِكَثْرَةِ الازْدِحَام، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّر لَهُ ذَلِكَ، فَلْيُصلِّ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي المَسْجِدِ، وبعْد أداء رَكْعَتَيْ تَحِيَّة المَسْجِد، يَسِيرُ بِأَدَبٍ وَخُشُوع ونِيَّة صَادِقَة، وتَوَجُّه إِلَى اللَّه بِقَلب مملُوء بالإِيمَان، إِلَى ضَرِيح الرَّسُولِ عَلَيْه السَّلاَم المحوَّطِ بالقُضْبَان الحَدِيدِيَّة، والمُشَارِ إِلَيْه بِثِقبَة فِي الجِدَارِ الحَدِيدِي المَذْكُور، فيُسَلِّم عَلَيْه، السَّلاَمَ اللاَّئقَ بِهِ، وَيَدعو بِمَا شَاءَ مِنَ الأَدْعِيَة أَنْ يتقَبَّل اللَّه مِنْه هَذِه الزِّيَارَة الَّتِي كَانَ يتَطَلَّع إِلَيْهَا مُنذُ نُعُومَة أَظْفَارِه، ولْيَسْأل اللَّه سُبْحَانَه أَنْ ينعَمَ عَلَيْه بِحُسْنِ الخَاتِمَة، وَشَفَاعَة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّه عَلَيْهِ الصَّلاَة والسَّلاَم يَصِلُ إِلَيْهِ السَّلاَم، فَيَرُدُّ اللَّه عَلَيْه رُوحَه، وَيَرُدّ عَلَيْه السّلام كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيف، وَبَعْدَ السَّلاَم عَلَى رَسُول اللَّه، يَخْطُو خُطْوَةً صَغِيرَةً نَحو مَدْفَن أَبِي بَكْر الصِّدِّيق، فَيَقِف لِيُسَلِّم عَلَيْهِ بدوْرِه، ثُمَّ يَخْطُو خُطوة أُخْرَى، نحوَ قَبْر عُمَر بْنِ الخَطَّاب، فَيُسلِّم عَلَيْه بِدَوْرِه، وتنتَهِي الزِّيَارَة بالسَّلاَم عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم وَصَاحِبَيْه، ثُمَّ يَقْصِدُ مَرَّة ثَانِيَة الرَّوْضَة الشَّرِيفة إِن اسْتَطَاع، لِيُصَلِّي مَا شَاءَ مِنَ النَّوَافِل، وَلِيَتْلُو آيَاتٍ مِن كِتَاب اللَّه، وَيُصلِّي عَلَى رسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم. كَيْفَ شَاءَ، وَبِأَيِّ

صِيغَة أَرَادَ، فَالصَّلاَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّه مرَّةً واحِدَة بعَشَر صَلَوَات، كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيث، ولْيُكْثر أَثْنَاء وُجودِه فِي المَدِينَة المُنَوَّرَة مِن زِيَارَة المَسْجِد النَّبَوِيِّ، وَصَلاَة الجَمَاعَة فِيه، فَقَد ورَد أنّ الصَّلاة فِي المَسْجد النَّبَوي تَعْدِل أَلْفَ صَلاَة فِي غَيْره، غَيْر المَسْجِد الحَرَام الَّذِي تعْدِلُ فِيه صَلاَة الجَمَاعَة، بِمائَة أَلْفِ صَلاَةٍ فِي غَيْرِه، وَلَدَى عَزْمِه عَلَى مُغَادَرة المَدِينَةِ المُنَوَّرَة يُسَلِّم عَلَى الرَّسُولِ وَصَاحِبَيْه وَيشْتَري مَا شَاءَ مِن الهَدَايَا (واصْحَبْ هَديَّة السُّرور) إِلَى الأَبْنَاء والأَحْبَاب والخَدَم تَقَبَّل اللَّه مِنْه.

مَا هُو الإِيمَان ؟

السُّؤَال الثَّانِي الَّذِي تَوَجَّه بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلام إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم عِنْدَمَا أَتَى مِنْ عِنْدِ رَبِّه تَعَالَى لِيُعَلِّم النَّاسَ دِينَهُم حَسَب مَا ذَكرْنَاه فِي حَدِيث جِبْرِيل السَّابِق، هوَ التَّعْرِيف بحَقِيقَة الإِيمَان ؟ فَما هُو الإِيمَان ؟ قَال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم مُجِيباً جِبْرِيلَ عَلَيْه السَّلاَم (الإِيمَانُ أنْ تُؤْمِن (1) بِاللَّه و(2) مَلاَئِكَتِه و(3) كُتُبِه و(4) رُسُلِهِ و(5) اليَوْمِ الآخِرِ و(6) تُؤمِنَ بالقَدَر خَيْرِه وَشَرِّه)، وَمَعْنَى أنْ تُؤْمِن، أن تُصَدِّقَ بقَلْبِكَ تَصْدِيقاً حَقِيقِيّاً لاَ شَائِبَة فِيهِ لِشَكٍّ. فَالإِيمَان هُوَ

التَّصْدِيقُ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه، وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، والقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَمَّا الإِسْلام فَهُو عِبَارة عَن فِعل الوَاجِبَات والانقيَادُ إِلَى الأعْمَال الظَّاهِرَة، ففَرقٌ بَيْن الإِيمَان والإِسْلاَم، كَمَا جَاءَ فِي القُرْآن الكَرِيم : ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَّمْ تُومِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُم﴾[24] فَلاَ يَكْفِي المُسْلِم أنْ يَقُول أَسْلَمْتُ وقُلْتُ (لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَصِرْتُ أُصَلِّي الخ) بل أنْ يَكونَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَان، مُصَادَقاً عَلَيْه بالقَلْب الفَارِغِ مِن الشَّكِّ، فَالمُنَافِقُونَ كَانُوا يُصَلُّون، وَيَصُومُون، وَيَتَصَدَّقُون، وَبِقُلُوبِهم يُنْكِرُون، فَلَمَّا ادَّعَوْا ذَلِكَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، كَذَّبَهُم اللَّه تَعَالَى فِي دَعْوَاهُم الإِيمَان، لإِنْكَارِهم بِقُلُوبِهِم، وعَدَمِ صِدْقِهِم فِي دَعْوَاهُم الإِسْلاَم، بِلِسَانِهِم وَظَوَاهِرِهم، وأكّد في آية أخُرَى أَنَّهُم كَاذِبُون ﴿وَاللَّه يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِين لَكَاذِبُون﴾[25] فالإِسْلامُ الحَقِيقِيُّ أنْ يُوَاطِئَ اللِّسَانُ الْقَلْبَ، أيْ يُصَدّق القَلْب ما تَقُوله الجَوارِحُ مِنْ لِسَانٍ وَغَيْرِه.

(24) سورة الحجرات. الآية : 14.
(25) سورة المنافقون : الآية : 1.

و**المَلائِكَة** الَّذِينَ يَجِبُ الإيمَانُ بِوُجُودِهِم، جَمعُ «مَلَك» وهمْ أجْسَامٌ نُورَانِيَّة، خَلَقَهُم اللَّه مِنْ نُورٍ، ويتشكَّلُون أيْ يَظهَرُون بِأشْكَال مُخْتَلِفَة، مِثل ما رَأَى الصَّحَابَة رِضْوَان اللَّه عَلَيْهِم، جِبْرِيلَ فِي صُورَة إِنْسَان، ثُمَّ غَابَ عَنْهُم فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً، وَهُمْ كَمَا قَالَ القُرْآن عَنْهُم : ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُون﴾[26] ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّه مَا أَمَرَهُم وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُون﴾[27].

وَ**الْكُتُب** الَّتِي يَجِبُ الإِيمَانُ بِهَا، هَيَ الكُتُب المُنزَّلَة عَلَى رُسُله، وَأَنَّهَا كَلاَمُ اللَّه المُنْزَل عَلَى بَعْض رُسُلِه عَلَيْهِم السَّلاَم، سَوَاء نَزَلَت مَكْتُوبَة كالتَّورَاة الَّتِي نزَلَتْ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَم، أم نَزَلَتْ غَيْر مَكْتُوبَة ثُمَّ كُتِبَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَالْقُرْآن الكَرِيم الَّذِي نَزَلَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم مُجزَّءً أَيْ مُفَرَّقاً، حَسَبَ الظُّرُوف والمُنَاسَبَات.

وَجُمْلَة الكُتُب المُنَزَّلَة عَلَى الرُّسُل مائَة وَأَرْبَعَة، وَمِنهَا الزَّبُورُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى داوُد، والإِنْجِيلُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِما السَّلام.

(26) سورة الأنبياء. الآية : 26.
(27) سورة التحريم. الآية : 6.

ما يَجِبُ في حَقِّ الرُّسُل عَلَيهم السَّلام

وَمعْنَى الإِيمَان بالرُّسُلِ أَنْ تُؤمِنَ أَيُّهَا المُسْلِم، بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ رُسُلاً مِنَ الآدَمِيِّين، وَكَلَّفَهُمْ بِتَبْلِيغِ مَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ لِخَلْقِهِ، مِنْ وَاجِبَاتٍ وَأَحْكَامٍ وَأَخْلاَقٍ، وَأَنْ تُصَدِّق بِقَلْبِكَ بِمَا يَجِبُ لَهُمْ مِنْ وَاجِبَاتٍ، وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ، وَمَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِم السَّلام، وَذَلِكَ مَا أَشَارَ إِلَيْه ابنُ عَاشِر فِي مَنْظُومَتِه، حَيْثُ قَالَ :

يَجِبُ للرُّسْل الْكِرَامِ الصِّدْقُ ... أَمَانَةٌ تَبْلِيغُهُم يَحِقُّ
مُحَالٌ الكَذِبُ وَالمَنْهِيُّ ... كَعَدَمِ التَّبْلِيغِ يَا ذَكِيُّ
يَجُوزُ فِي حَقِّهِمُ كُلُّ عَرَضْ ... لَيْسَ مُؤَدِّياً لِنَقْصٍ كَالْمَرَضْ

(1) الصِّــدْق :

فَالرَّسُولُ مُصَدّقٌ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلاَ يَجُوزُ وَلاَ يُقْبَلُ أَنْ يُصَدَّقَ الرَّسُولُ بِبَعْضِ مَا أَتَى بِتَبْلِيغِه، ولاَ يُقْبَلُ البَعْضُ حَسَبَ شَهْوَةِ الإِنْسَان وَفِكْرِه وَعَقْلِه، فَمَا قَالَه الرَّسُولَ وَبَلَّغَهُ كُلُّه صِدْقٌ، لأَنَّ الرَّسُول لاَ يَقَعُ مِنْهُ الْكَذِبُ، فَإِذَا مَا لَمْ يُصَدَّقْ الرَّسُولُ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّه، فَإِنَّ مَعْنَاه أَنَّهُ كَاذِبٌ، وَهُوَ مَا يَتَنَافَى مَعَ الصِّدْقِ الَّذِي هُوَ رُوحُ التَّبْلِيغ، فَالرَّسُولُ لاَ

يَكْذِبُ لاَ عَمْداً وَلاَ سَهْواً، وَالإِيمَان بالرَّسُولِ، لاَ يُقْبَلُ أنْ يُصَدَّقَ فِي بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ، وَيُكَذِّبَ فِي الْبَعْضِ الآخَرِ، وَصَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ الَّذِي قَالَ وَقَوْلُه الحَقُّ : ﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْل إلاَّ مَنْ ظُلِم، وَكَان اللَّه سَمِيعاً عَلِيماً، إن تُبدُوا خَيْراً أوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوء فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾[28] ﴿إِنَّ الَّذِين يكْفُرُونَ باللَّه ورُسُلِه، ويرِيدُون أنْ يُفرِّقُوا بَيْن اللَّه ورُسُلِه، وَيَقُولُون نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً، وَأعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً وَالَّذِينَ آمَنُوا باللَّه ورُسُلِه ولَم يُفرِّقُوا بَيْن أَحَدٍ مِنْهُم أُولَئِكَ سَوْفَ نُوتِيهُمُ أُجُورَهُمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[29] وَالإِيمَانُ بالرُّسُل الَّذِين بَعَثَهُم اللَّهُ إِلَى البَشَرِيَّةِ لِيُنْقِذُوهَا مِنَ الكُفْر والضَّلاَل والبُهْتَانِ، وَاجِبٌ لاَ يَصِحُّ الإِسْلاَمُ إلاَّ بِهِ ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُله﴾[30] وَإِذَا لَمْ يُصَدِّقِ المُسْلِمُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، فَإِنَّه يكُونُ قَد كَذَّبَهُ، وَكَذَّبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ، وَهُو الخَالِقُ تَبَارَكَ وتَعَالَى، لأَنَّ اللَّهَ الَّذِي

(28) سورة النساء، الآية : 149-149.
(29) سورة النساء. الآية : 150-151-152.
(30) سورة البقرة. الآية : 285.

أَرْسَلَه صَدَّقَهُ وَأَمَرَهُ بالتَّبْلِيغِ ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[31] فالمكَلَّفُ بالتَّبْلِيغِ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَاذِباً.

(2) الأَمَـانـــة :

قَالَ الشَّيْخُ مَيَّارَةُ فِي شَرْحِهِ عَلَى المُرْشِدِ المُعِينِ : الأَمَانَةُ وَهِيَ حِفْظُ جَمِيع الجَوَارِحِ الظَّاهِرَة والبَاطِنَة مِن التَّلبُّسِ بمَنْهِيٍّ عَنْهُ نَهْيَ تَحْرِيمٍ، أَوْ كَرَاهَةٍ، وَيُسَمَّى صَاحِبُها أَميناً، للأمْنِ فِي جِهَتِه مِن المُخَالَفَة لِمَا حُدَّ لَهُ وَأُوصِيَ بِهِ، لأَنَّهُ الَّذِي يَتْرُكُ كلَّ أمْرٍ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أَوْصَى بِهِ مَالِكُهُ أَنْ يَتْرُكَ عَلَيْه، وَلاَ يَخُونُ بِأَنْ يَنْقُلَهُ بِسَبَبِ الشُّهْرَة مِن المَوْضِعِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ بِوَصِيّة مَالِكِه الَّذِي تَجِبُ طَاعَتُهُ، وَبِعِبَارَةٍ أَوْضَحَ، وَالأَمَانَة تَقْتَضِي أنَّ الأَمِين المُؤتَمَن، لاَبُدَّ أنْ يُبَلِّغَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بتَبْلِيغِهِ، كَمَا تَلَقَّاهُ مِنْ رَبِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، وَدُونَ تَعَمُّدٍ أوْ نِسْيَانٍ، وَبِهَذَا الاِعْتِبَار، فَالأَمَانَةُ والتَّبْلِيغ، مُتَلاَزِمَانِ مَعَ بَعْضِهِمَا بَعْضاً، فَلاَبُدَّ أنْ يُبَلِّغ الرَّسُول مَا أَمَرَه بِهِ رَبُّه بتَبْلِيغِه، ولاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّبْلِيغُ طِبْقَ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ رَبِّه، دُونَ تَبْدِيلٍ وَلاَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَلاَ مَجَالَ لِلكَذِبِ فِي التَّبْلِيغِ،

(31) سورة المائدة. الآية : 67.

وَلاَبُدَّ مِنَ الفَطَانَةِ أَيْضاً، الَّتِي بِهَا يَكُونُ الأَمِينُ مُنْتَبِهاً غَايَةَ الاِنْتِبَاهِ، حَتَّى لاَ يَقَعَ فِي التَّحْرِيفِ، وَعَدَمِ الانْضِبَاطِ، فَأَحْرَى الكَذِبَ الَّذِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ الرَّسُولِ، وَلَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا ابْنُ عَاشِرٍ حَيْثُ قَال :

مُحَـالٌ الْكَـذِبُ وَالمنْهِـــيُّ كَعَـدَمِ التَّبْلِيــغِ يَا ذَكَـــيُّ

والـحـاصِـلُ مِنْ هَـذَا كُـلِّه، أنَّ هُـنَـاكَ عِـدَّةَ صِفَـاتٍ تُـلاَزِمُ الصِّدْق، وَهِيَ الأَمَانَةُ والتَّبْلِيغُ وَالْفَطَانَةُ. كَمَا قَالَ سَيِّدِي أحْمَد الدَّرْدِير :

وَصِفْ جَمِيعَ الرُّسْلِ بالأَمَانَـةْ والصِّـــدْقِ والتَّبْلِيــغِ والْفَطَانَــةْ

1 ـ **السُّنَّةُ تُفَسِّرُ القرآن** : السُّنَّة هي أَقْوَال الرَّسُول وَأَفْعَالُه وتَقْرِيراتُه، وَهِي الَّتِي تُفسِّرُ القُرْآن وتُبَيِّنُه، وتُوضِّح المُشْتَبَهَ فِيه، مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَما رَفَعَ الصَّحابَة أَصْوَاتَهُمْ بالذِّكْر (أَيُّهَا النَّاسُ إِربَعُوا عَلَى أنْفُسِكُم، فَإِنَّكم لا تَدْعُون أَصَمَّ وَلا غَائِباً، إِنَّما تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً قَرِيباً، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَه أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكم مِنْ عُنُق رَاحِلَتِه) (متفق عليه) وقَولُه عَلَيْه السَّلاَم : (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوات السَّبْع والأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيم، رَبَّنَا ورَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، خَالِقَ الحَبِّ والنَّوَى، مُنْزِل التَّوْرَاةِ والإِنْجِيل والقُرْآن،

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، إِقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ) رواه مُسْلم.

وَمِثْلُ تَوْضيح مَعَانِي الآيَاتِ الكَرِيمَة فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُم، واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[32] فَلَيْسَ مَعْنَى اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ، أَنَّهُ حَقّاً فَوْقَ العَرْشِ جَالِسٌ كَمَا نَعْرِفُ الْجُلُوسَ، وَلَكِنَّهُ جُلُوسٌ آخَرُ يَلِيقُ بِالذَّاتِ العُلْوِيَّةِ، لاَ نَدْرِي شَكْلَهُ وَلاَ نَوْعَهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ بِالحَادِثِ مِثْلَ جُلُوسِنَا، وَلِذَلِكَ قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْهُ : الْجُلُوسُ مَعْرُوفٌ، والكَيْفُ مَجْهُولٌ، والسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةِ، وَهُوَ خِلاَفُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلاَفُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الخَلْق، وَتَحَدَّثَتْ آيَاتُ القُرْآنِ عن السَّمَاءِ وَالبُرُوج والقَمَر ﴿تَبَارَكَ

(32) سورة. الحديد الآية : 4.

الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾[33] فالبُرُوجُ آيَةٌ مِن آيَاتِ اللَّهِ وَهِيَ قُصُورٌ فِي السَّمَاءِ، والسِّرَاجُ هُوَ الشَّمْس، وَهُوَ أَيْضاً آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّه، والقَمَرُ آيَةٌ مِن آيَاتِ اللَّهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوضُوعٌ فِي السَّمَاءِ.

واللَّهُ سُبْحانَه فَوْقَ عَرْشِه رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِه، ومنهُم البُرُوج وغيْرُهَا منَ الإِنْس والجِنِّ، مهَيْمِنٌ عليهِم، مُطلِعٌ عَلَيْهِمْ.

القُرْآن كَلاَمُ اللَّهِ

2 ـ وَمِن الإِيمَانِ باللَّهِ وَكُتُبِه، الإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللَّه، مُنَزَّل غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّهُ نَزَلَ عَلَى مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم حَقِيقَةً، هُوَ كَلاَمُ اللَّه، لاَ كَلاَمُ مُحَمَّد، وَلاَ كَلاَمُ جِبْرِيلَ وَلاَ كَلاَم غَيْرِهِمَا ﴿كِتَـٰبٌ أَنْزَلْنَاه إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيدَّبَّروا آيَاتِهِ ولِيَتَذَكَّر أولُوا الأَلْبَاب﴾[34].

3 ـ وَمِن الإِيمَانِ باللَّه وبِكُتُبِه وبِمَلاَئِكَتِهِ ورُسُلِه، الإِيمَانُ بِأَنَّ المُومِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَة عِيَاناً بِأَبْصَارِهم، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْس صَحْواً لَيْسَ بِهَا سَحَابَة، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَر لَيْلَة البَدْر،

(33) سورة الفرقان. الآية : 61.
(34) سورة "ص". الآية : 29.

لاَ يُضَامُون فِي رُؤْيَتِه (يُضَامُونَ لاَ يَنَالُهُم ضَيْمٌ) فَيَرَوْنَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ فِي الجَنَّةِ، وَمِنْهُم مَنْ ينعَمُ عَلَيْهِم سُبْحَانَه بِرُؤْيَتِهِ المَرَّاتِ والمَرَّاتِ، وَذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى بَعْضِ أَوْلِيَائِهِ.

4 ـ وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّه، الإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ : (فِي حَدِيث جِبْرِيل) الإِيمَانُ بِالْيَوْم الآخِر، والإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَر بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم، مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ، كَفِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْر، وَنَعِيم القَبْرِ، وأن النَّاسَ يُمتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِم بَعْدَ دَفْنِهِم، فَيُسْأَلُ الإِنْسَانُ بَعْدَ دَفْنِه، مَا رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيُثَبِّتُ اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْل الثَّابِت فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة، فَيَقُولُ المُؤمِنُ : رَبِّي اللَّهُ، والإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم نَبِيّي. والمُرْتَابُ والشَّاكّ والْعِيَاذُ بِاللَّه، يَقُولُ : لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً، فَقُلْتُهُ، فيُضرَبُ بِمِطْرَقَةٍ كَبِيرَةٍ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث، وَيَبْدَأ عَذَابُهُ مُنْذ ذَلِكَ الوَقْتِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ، إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ، إِلَى أَنْ تَقُوم السَّاعَةُ، حَيْثُ تَعُودُ الأَرْوَاح إِلَى أَجْسَادِهَا، وَيَقِفُ النَّاسُ لِلحِسَابِ مِنْ قُبُورِهِم، وتُنْصَب المَوَازِينُ، لتُوزَنَ أَعْمَالُهُم، وَ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم أَلْسِنَتُهُم

وَأَيْدِيهِم وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾[35] ﴿وكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْم الْقِيَامَة كِتَاباً يَلقَاه مَنْشُوراً، إِقْرَأْ كِتَابَك كَفَى بِنَفْسِك اليَوْم عَلَيْك حَسِيباً﴾[36] ﴿فمَنْ ثقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون﴾[37].

5 ـ وَمِن الإِيمَان باللَّه، الإِيمَانُ بالصِّرَاطِ المَنْصُوب علَى مَتْنِ جَهَنَّم، وهُوَ الجَسْر الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ والنَّار، يمرُّ النَّاسُ فَوْقَهُ عَلَى قَدْر أَعْمَالِهِم، فَمِنْهُم مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَر، ومِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُم مَنْ يَمُرُّ كالرِّيح، وَمِنْهُم مَنْ يَمُرُّ كالفرَس الجَوَاد، ومِنْهُم مَن يَمرُّ كَرُكَّابِ الإِبِل، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْواً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ خَطْفاً، فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ وَنَجَّاهُ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّة.

6 ـ **شفاعَةُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم** : مِنَ الإِيمَانِ شَفَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي أَهْلِ المَوْقِف الَّذِين ينْتَظِرُون حُكْم اللَّه فِيهِم، وَهِيَ ثَلاَثُ شَفَاعَات : **الأُولَى**، فيشْفَعُ فِي أَهْلِ

(35) سورة النور، الآية : 24.
(36) سورة الإسراء. الآية : 13-14.
(37) سورة المومنون. الآية : 102-103.

الـمَـوْقِـفِ، حَتَّى يُقضَى بَيْنَهُم، بَعْد أَنْ يَعْيوا فِي مَوْقِفِهِم وانتِظَارِهِم، فيتَشَفَّعُونَ بِآدَمَ، وَنُوح، وَإِبْرَاهِيم، وَمُوسَى، وَعِيسَى، فَلاَ يَشْفَعُونَ لَهُم.

ويَخْتِمُونَ برَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم الَّذِي يَقُولُ لَهُمْ : أَنَا لَهَا. **الشَّفاعَة الثانِيَّة** ، فيشفع فِي أَهْلِ الجَنَّة أَنْ يدْخُلوا الجَنَّةَ وَلاَ يَبْقَوْنَ فِي الاِنْتِظَار (وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَان خَاصِّيَتانِ لَهُ عَلَيْه السَّلاَم) وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَة، فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لاَ يَدْخُلَها، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أنْ يَخْرُج مِنْهَا، وَهَذِهِ **الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَة**، لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلِسَائِرِ النَّبِيئِينَ والصِّدِّيقِين وَغَيْرِهم مِنَ الَّذِين يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُم فِي الشَّفَاعَة.

وَيَأْتِي بَعْد **الإِيمَان بِالْيَوْمِ الآخِرِ**، **الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه**، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَّرَ الأَشْيَاءَ فِي الْقِدَمِ، وَعَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَفِي أَمْكِنَةٍ مَعْلُومَةٍ، وَهِيَ تَقَعُ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَه وتَعَالَى، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (عَلِيمٌ بِمَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِه الْقَدِيم الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَداً، وَعَلِيمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَات وَالمَعَاصِي والأَرْزَاقِ والآجَال ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[38] (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُم إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْل أَنْ نَبْرَأَهَا، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[39] وَفِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُون عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِك، ثُمَّ يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِك، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَك، فينْفُخُ فِيه الرُّوح، ويُؤْمَرُ بأرْبع كلِمَات، بِكَتْبِ رِزْقِه وَأَجَلِهِ وَعَمَلِه وَشَقِيٌّ أوْ سَعِيد) رواه البُخَارِي ومُسْلِم.

الدِّينُ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ : الدِّينُ فِي الحَقِيقَةِ، أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ: إِيمَانٌ وَأَقْوَالٌ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْقَلْبِ واللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، يَقُولُ ابْنُ عَاشِرٍ رَحِمَهُ اللَّه :

فَصْلٌ وَطَاعَةُ الجَوَارِحِ الْجَمِيعْ قَوْلاً وَفِعْلاً هُوَ الإِسْلاَمُ الرَّفِيعْ

وَالإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَة، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمُ آيَاتُهُ

(38) سورة الحج. الآية : 70.
(39) سورة الحديد. الآية : 22.

زَادَتْهُمُ إِيمَاناً﴾[40] وَمِنَ الإِيمَانِ بالرَّسُول عَلَيْهِ السَّلاَم، اِتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَار، امْتِثَالاً لِوَصِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم الَّذِي قَالَ مُوصِياً الْمُومِنِينَ : عَلَيْكُم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور (أَيْ الزِّيَادَةُ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّه) فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَة ضَلاَلَةٌ، وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ)، وفِي رِوايَة مُسلم : (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)، (أيْ مَرْدُودٌ) وَفِي حَديث آخَر : (مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً، أَوْ آوَى مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّه).

(3) مَا هُوَ الإِحْسَان ؟

وَثَالِثُ سُؤَالٍ وَجَهَّهُ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم لِيُعَلِّمَ الصَّحَابَةَ دِينَهُم، كَانَ **هُوَ الإِحْسَانُ**، وَمَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ فِي الإِيمَانِ، هِيَ مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِينَ، قَالَ جِبْرِيلُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَان ؟ فَأَجَابَهُ الرَّسُولُ : الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك، وَمَعْنَى هَذَا، أَنَّ المُؤْمِنَ

(40) سورة ا.لأنفال الآية : 2.

إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ فِي الصَّلاَةِ والدُّعَاءِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ، أَنْ لاَ يَشْغَلَ قَلْبَه بِغَيْرِ اللَّه، فَلاَ يَغْفُلُ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ، وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ نَفْسَهُ وَخَاطِرَه تَسْتَحْضِرُ غَيْرَ اللَّهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِالعِبَادَةِ، وَيَطْلُبَ مِنْهُ الإِعَانَةَ والهِدَايَة وَالتَّوْفِيق، وَيَتَصَوَّر وَهُوَ مُتَّجِهٌ إِلَى القِبْلَةِ فِي الصَّلاَةِ أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، فَإِنَّهُ يَرَاهُ الرُّؤْيَةَ الْقَلْبِيَّة، وإِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العَلِيمُ القَدِيرُ، يَرَى وَيَعْلَمُ حَقِيقَة تَعبُّدِه وَإِقْبَالِهِ عَلَيْه بِقَلْبِه وَجَوَارِحِه، وَلاَ يَشْغَلُهُ فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ أَيُّ شَيْءٍ عَنِ الصَّلاَةِ، وَصِدْقِ التَّوْبَة، وَيَكُونُ مُتَأَمِّلاً لِكُلِّ لَفْظَةٍ يَنْطِقُ بِهَا وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى رَبِّه، سَوَاءٌ بِالتَّكْبِير، أَوِ التَّسْبِيحِ، أَوِ القِرَاءَةِ، أَوِ الدُّعَاءِ، وَهَكَذَا يَعِيشُ تِلْكَ الدَّقَائِق عِيشَة رُوحَانِيَّة صَادِقَةً، فَلاَ يَكُونُ لَهُ تَطَلُّعٌ لِغَيْرِ رِضَاءِ رَبِّهِ، وَرَجَاؤُه فِي رَحْمَتِه وَغُفْرَانِهِ.

مَتَى السَّاعَة ؟

أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَة، وَآخِرُ سُؤَالٍ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَم قَوْلُه : (أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَة ؟ أَيْ عَنِ الْقِيَامَةِ مَتَى تَقَع ؟ والسَّاعَةُ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهَا، فَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ مَتَى

سَتَكُون ؟ ﴿إِنَّ اللَّه عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَة﴾[41] ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، لاَ تَاتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾[42] وَيَوْمُ السَّاعَةِ هُوَ يَوْمُ القِيَامَة الَّتِي تَعْرضُ فِيهَا الخَلاَئِقُ أَعْمَالَهَا عَلَى رَبِّهَا، فَتُحَاسَبُ وَتُجَازَى جَزَاءَ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَتَلْقَى مَصِيرَهَا الْحَتْمِيَّ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[43].

قيمَةُ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، قَالَ الإِمَامُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَد بْنُ حَجرٍ الْهَيْثَمِي فِي شَرْحِ الأَرْبَعِين للنَّوويّ عَنْ هَذَا الحَدِيث : (هُوَ حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى عِظَمِ مَوْقِعِهِ، وَكَثْرَةِ أَحْكَامِهِ، لاِشْتِمَالِه عَلَى جَمِيع وَظَائِف العِبَادَاتِ الظَّاهِرَة والْبَاطِنَة، مِنْ عَقَائِدِ الإِيمَانِ، وَأَعْمَال الجَوَارِح، وَإِخْلاَصِ السَّرَائِر، والتَّحَفُّظِ مِن آفَاتِ الأَعْمَالِ، حَتَّى إِن عُلُومَ الشَّرِيعَة كُلِّهَا، رَاجِعَةٌ إِلَيْه، ومُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ، فَهُوَ جَامِع لطَاعَات الجَوَارِح والقَلْب، أُصُولاً وَفُرُوعاً، حقيقٌ بأن يُسَمَّى أُمّ السُّنَّة، كَمَا سُمِّيَت الْفَاتِحَة أمّ القُرْآن، لِتَضَمُّنِهَا جُلَّ مَعَانِيه) وَيَكْفِي أنْ نُدْرِكَ أنَّ الرَّسُولَ عَلَيْه الصَّلاَةُ والسَّلامُ قَالَ عَنْهُ : إِنَّهُ أَصْلُ الدِّين وَحَقِيقَتُهُ.

(41) سورة لقمان. الآية : 34.
(42) سورة الأعراف. الآية : 187.
(43) سورة الزلزلة. الآية : 7-8.

مَا ذُكِرَ فِي القُرْآن مِنَ الأَنْبِيَاء والرُّسُلِ وَالمَلاَئِكَة :

ذَكَر الإِمَام جَلاَلُ الدِّين السَّيُّوطِي فِي (الإِتْقَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآن) أَنَّهُ وَقَع فِي القُرْآنِ مِنْ أَسْمَاء الأَنْبِيَاء والرُّسُلِ عَلَيْهِم الصَّلاَة والسَّلاَمُ، خَمْسٌ وَعِشْرُونَ، وَمِن أَسْمَاءِ المَلاَئِكَة، اثْنَا عَشَرَ عَلَى خِلاَفٍ فِي بَعْضِهِم، فمن الأَنْبِيَاءِ والرُّسُل : 1) آدَم، 2) نُوحٌ، 3) إِدْرِيسُ، 4) إِبْرَاهِيم، 5) إِسْمَاعِيلُ، 6) إِسْحَاق، 7) يَعْقُوبُ، 8) يُوسُفُ، 9) لُوطٌ، 10) هُودٌ، 11) صَالِحٌ، 12) شُعَيْبُ، 13) مُوسَى، 14) هَارُونُ، 15) دَاوُد، 16) سُلَيْمَانُ، 17) أَيُّوب، 18) ذُو الْكِفْلِ، 19) يُونُس، 20) إِلْيَاسُ، 21) الْيَسَع، 22) زَكَرِيَّاء، 23) يَحْيَى، 24) عِيسَى، 25) مُحمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم وَذَكرَ فِي الإِتْقَان أَيْضاً مِن أَسْمَاءِ المَلاَئِكَة : 1 و2) جِبْرِيل وَمِيكَائِيل (كُل مَن فِيه (ايل) فَهُوَ عَبد، و3 و4) هَارُوت وَمَارُوت، 5) الرَّعْد (مَلَك مُوَكَّلٌ بِالسَّحَاب)، 6) البَرْق، 7) مَالِك (خَازِن جَهَنَّم)، 8) السِّجلّ، 9) قَعِيد، 10) ذُو الْقَرْنَيْن (قِيل إِنَّه مَلَك)، 11) الرُّوح، 12) السَّكِينَة.

مَا هُوَ الحُكْمُ الشَّرْعِي ؟ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى حُكْم : الحُكْمُ الشَّرْعِيّ، فَمَعْنَاهُ الحُكْمُ المُسْتَنِدُ إِلَى الشَّرْع، وَهُوَ الَّذِي لاَ يَسْتَنِدُ إِلاَّ إِلَى الشَّرْعِ، فَلاَ يَسْتَنِدُ إِلَى عقْلٍ، وَلاَ إِلَى عَادَةٍ، وَأَقْسَام الحُكْمِ الشَّرْعِي خَمْسَةٌ : 1) الْفَرْض (أي الوَاجِبُ)، 2) النَّدْبُ (وَهُوَ المُسْتَحَبُّ أَوِ السُّنَّة)، 3) الحَرَام (وَهُو المَنْهِيُّ عَنْهُ نَهْياً قَطْعِيّاً حَتْمِيّاً)، 4) المَكْرُوه (وَهُوَ المَنْهِيُّ عَنْهُ نَهْيـاً غَيْـر حَتْمِيّ)، 5) المُبَاحُ (وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَأْذُنْ الشَّارِعُ فِي فِعْلِهِ وَلاَ فِي تَرْكِهِ، بَلْ تُرِك بَابُه مَفْتُوحاً للفِعْلِ والتَّرْكِ).

والـفَـرْضُ قِسْـمَـانِ : 1) فَـرْض عَـيْـنٍ، عَـلَـى كُـلِّ مـكـلَّـف كَالصَّلَوَاتِ الخَمْس، 2) وَفَرْضُ كِفَايَة، هُوَ الَّذِي إِذَا قَامَ بِهِ البَعْضُ، سَقَطَ الطَّلَبُ عَنِ البَاقِينَ، كَالصَّلاَة عَلَى المَيِّت. وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى أمْر بِأَنَّهُ مَنْدُوبٌ، فَإِنَّهُ يَشْمَلُ المُسْتَحَبَّ والسُّنَّةَ والتَّطَوُّعَ، وَهُوَ الأَمْرُ المَطْلُوبُ طَلَباً غَيْر جَازِمٍ وَتَفَاصِيلُ كُلِّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي المَرَاجِعِ الفِقْهِيَّة، وَيُفَرِّقُ الفُقَهَاءُ بَيْنَ السُّنَّة والمُسْتَحَبَّات، فَالسُّنَّة مَأْمُورٌ بِهَا أَمْراً مُؤَكَّداً، والمُسْتَحَبَّاتُ مَأْمُورٌ بِهَا أَمْراً غَيْرَ مُؤَكَّدٍ، وَإِنْ كَانَ الجَمْعُ مُطَالَبٌ بِهِ. فَقِرَاءَةُ السُّورَة فِي الصَّلاَةِ، سُنَّة مُؤَكَّدة وَكَذَلِكَ التَّشَهُّدُ، وَتَقْلِيلُ المَاءِ فِي الوُضُوءِ مَثَلاً، مُسْتَحَبٌّ وَهَكَذَا.

أَحَادِيث نَبَوِيَّةٌ يَنْبَغِي تَحفيظُهَا للأَبْنَاء

1 ـ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم كَمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا : (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَة، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْم رَمَضَان) رواه البُخَارِيّ ومُسْلِم.

2 ـ ورَوَى تَميم بْنُ أَوْسِ الدَّارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الدِّينُ النَّصِيحَة، قُلْنَا لِمَنْ ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ وَلِرُسُلِه، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم) رواه مُسْلِم.

3 ـ ورَوَى أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فاجْتَنِبُوه، وَمَا أَمَرْتُكُم بِهِ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم، كَثرَةُ مَسَائِلِهم، واخْتِلاَفُهُم عَلَى أَنْبِيَائِهِم) رواهُ البُخَارِيّ ومُسْلِم.

4 ـ وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَة أَيْضاً قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم : (مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ، تَرْكُه مَا لاَ يَعْنِيه) رَوَاهُ التِّرْمِذِي.

5 ـ وَعَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، خَادِمُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَلَّـم قَالَ : (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكم حَتَّى يُحبُّ لأَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواهُ البُخَارِي وَمُسْلِم.

6 ـ وَعَن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : (مَنْ كَانَ يُؤْمنُ بِاللَّه واليَوْم الآخِر، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَو لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِن بِاللَّه والْيَوْمِ الآخِر، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّه واليَوْم الآخِر، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) رَوَاهُ البُخَارِيّ ومُسْلِم.

7ـ وَعَن أَبِي ذرٍّ وَمُعَاذِ بن جَبَل رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : (إِتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَة تمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَن) رواه التِّرْمِذِي. وقالَ حَدِيثٌ حَسَن، وَفِي بَعْض النُّسَخ حَسَن صَحِيح.

8 ـ وَوَرَدَ : (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا)

9 ـ وَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (إِنَّكُم لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بَأَمْوَالِكُم، فَسَعُوهُم ببَسْطِ الوَجْهِ وَحُسْنِ الخُلُق).

10 ـ وَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم : (أَكْمَلُ المُومِنِينَ إِيمَاناً، أَحْسَنُهم أَخْلاَقاً، وَخِيَارُهُم، خِيَارُهُم لِنِسَائِهِم).

11 ـ وعن عَبْد اللَّه بْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُما قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْماً فَقَالَ لِي : (يَا غُلاَم، إِنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَات، إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، إِحْفَظ اللَّه تَجِدْهُ تُجَاهَك، إِذَا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، واعْلَم أنَّ الأُمَّة لو اجْتَمَعَتْ عَلَى أن ينْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّه لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّه عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)، رواهُ التِّرْمِذِي، وقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

12 ـ وَفِي رواية غَيْر التِّرْمِذِي : (إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّه فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّة، واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ،

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْر، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْب، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً).

13 ـ وعَن جَابِر بنِ عبْد اللَّه الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّه عَنْهُما : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وصُمْتُ رَمَضَان، وَأَحْلَلْتُ الحَلاَلَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً، أَدْخُلُ الجَنَّة ؟ قَالَ : نَعَمْ. رَواهُ مُسْلِم.

14 ـ وَعَن سُفْيَانَ بنِ عَبْدِ اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ : قُلتُ يَارَسُولَ اللَّه، قُلْ لِي فِي الإِسْلاَم قَوْلاً، لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَك، قَال : (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ)، رَوَاه مُسْلِم.

15 ـ وعن مُعاذِ بنِ جَبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ : (لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيم، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْه : تَعْبُدُ اللَّه لاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً، وتُقِيمُ الصَّلاَة، وتُوتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَان، وتَحُجُّ الْبَيْتَ)، ثُمَّ قَالَ : (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْر؟ الصَّوْمُ جُنَّة، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَة كَمَا يُطْفِئُ

المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُل فِي جَوْفِ اللَّيْل)، ثُمَّ تَلاَ : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ ـ حَتَّى بَلَغ ـ يَعْمَلُون﴾[44] ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أُخْبِرُك بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِه، وَذِرْوَةِ سَنَامِه ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ : (رَأْسُ الأَمرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِه الجِهَادُ)، ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِك كُلِّه، قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُول اللَّه، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ : (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)، قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّه، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُون بِمَا نَتَكَلَّم بِهِ ؟ قَالَ : (ثَكِلَتْكَ أُمُّك يَا مُعَاذ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم (أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ) إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم) رواهُ التِّرْمِذِي وَقَالَ : حَدِيث حَسَن صَحيح.

16 ـ وعن أَبِي ثَعْلَبَة الخُشَنِي، جُرْثُوم بْنِ نَاشِرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه، عَن رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ اللَّه فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضيِّعُوها، وَحَدَّ حُدُوداً فَلاَ تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَن أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُم غَيْر نِسْيَانٍ فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا) حديث حَسَن، رَوَاه الدَّارَقُطْنِي.

(44) نص الآية القرآنية كاملة : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ، يدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُم مِن قُرَّة أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة السجدة، الآيتان 16و17).

17 ـ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِي رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ : يَا رَسُول اللَّه، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُه أَحَبَّنِي اللَّه، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ : (إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّه، وازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ، يُحِبَّكَ النَّاسُ) حديث حسن رواه ابنُ ماجَهْ.

18 ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (لاَ تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُم عَلَى بَيْع بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّه إِخْوَاناً، الـمُسْلِمُ أَخُو الـمُسْلِم، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُه، ولاَ يَكْذِبُهُ، ولاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّات، بِحَسْب امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِم، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِم حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) رَواهُ مُسْلم.

19 ـ وعن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (سَيِّدُ الاِسْتِغْفَار أَنْ يَقُولَ العَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلاَّ

أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا فِي النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة، وَمَنْ قَالَهَا مِن اللَّيْل، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ) رَواهُ البُخَارِي.

20 - وعن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (مَن لَزِمَ الاّسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ). رواه أبُو داود.

قيمَةُ ذِكْرِ اللَّهِ والدُّعَاءِ

﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾[45].

﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[46] (سُورَة الكَهف).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[47] (سُورَة الأحْزَاب).

(45) سورة الرعد. الآية : 28.
(46) سورة الكهف. الآية : 28.
(47) سورة الأحزاب. الآية : 41-42.

الْـمُـؤْمـن الصَّـادِقُ لاَبُدّ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ خَالِقَهُ، وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْه بالدُّعَاءِ، والتَّسبِيحِ، والتَّكْبِير، والتَّهْلِيلِ، اِمْتِثَالاً لأَمْرِ رَبِّه، وَإِشْعاراً بِأَنَّهُ عَبْدٌ لِرَبِّهِ، لَيْسَ لَهُ مِن الأَمْرِ شَيْءٌ، وَأَنَّ مِنْ وَاجِبِهِ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْه بِكَثِيرٍ مِن النِّعَمِ، وَفِي طَلِيعَتِهَا نِعْمَةُ الإِيمَان، أنْ يذكُر اللَّهَ وَيَشْكُرَهُ وَلاَ يَكْفُرَ بِهِ، وَيَكُونَ دَائِماً عَلَى صِلَةٍ بِه، فِـي السِّـرِّ والـعَـلَـنِ، فِي الصِّـحَّـةِ والـمَـرَضِ، يَـذْكُـرُه فِـي كُـلِّ الأَوْقَاتِ، وَيَدْعُوهُ فِي كُلِّ المُنَاسَبَاتِ. دُعَاءَ الخَاشِعِ المتَبَتِّل، رَاجِيـاً رِضْـوَانَـه وَإِجـابَـة دَعَـوَاتِـهِ ﴿إِنَّ فِـي خَـلْـقِ السَّـمَـاوَاتِ والأَرْض واختِلاَف الَّيْلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَات والأَرْض، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ، فَقِنَا عَـذَابَ النَّـارِ، رَبَّـنَـا إِنَّـكَ مَـنْ تُـدْخِـلِ الـنَّـارَ فَقَـدْ أَخْـزَيْـتَـهُ، وَمَـا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أنْ آمِنُوا بِرَبِّكُم فَآمَنَّا، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّآتِنَا وَتَوَفَّنَا مَع الأَبْرَار، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِك، وَلاَ تُخْزِنا يَوْم القِيَامَة، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَاد﴾ (سورَة آل عمْرَان)[48] ﴿وَقَالَ

(48) سورة آل عمران. الآية : 190-194.

رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُون عَنْ عِبَادَتِي سَيَدخُلُون جَهَنَّمَ دَاخِرين﴾[49] (سُورَة غافِر) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُومِنُوا بِيَ لَعَلَّهُم يَرْشُدُون﴾[50] (سُورَة البَقَرَة).

وَجَاءَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَامُ مُسْلِم عَن أَبِي هُرَيْرَة : (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجلِساً يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، إِلاَّ حَفَّتْهُم المَلاَئِكَة، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَة، وَذَكرَهم اللَّه فِيمَنْ عِندَه).

وَفِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّه بْنُ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُول اللَّه : إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ : (لاَ يَزَالُ لِسَانُك رَطْباً مِنْ ذِكْر اللَّه) رواهُ التِّرْمِذي.

ومِن الذِّكْر والدُّعَاءِ : الصَّلاَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم. فَفِي الحَدِيث الصَّحِيح الَّذِي رَوَاه مُسْلِم : عَن عَبْدِ اللَّه بْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْه : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

(49) سورة غافر. الآية : 60.
(50) سورة البقرة. الآية : 186.

بِهَا عَشْراً) وفي الحَدِيث الآخَر الَّذِي رَوَاهُ ابنُ مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْه : (أَوْلَى النَّاس بِي يَوْم الْقِيَامَة، أَكْثَرُهم عَلَيَّ صَلاَةً).

وَالصَّلاَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم وَاجِبَةٌ وُجُوباً عَيْنِياً، فَلَقَد قَالَ الإِمَامُ ابنُ عَبْد البرِّ : أَجْمَعَ العُلَمَاء عَلَى أَنَّ الصَّلاة عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[51] بَعْد قَوْلِه تَعَالَى : ﴿إِنَّ اللَّه وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ﴾[52] وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ عَطِيَّةَ : الصَّلاَة عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي كُلِّ حَالٍ، وَاجِبَةٌ وُجُوبَ السُّنَنِ المُؤَكَّدَة الَّتِي لاَ يَسَعُ تَركُهَا، وَلاَ يَغفلُهَا إِلاَّ مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ، وَفِي الدّرّ المَنْثُور للسَّيُّوطِي، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة ﴿إِنَّ اللَّه وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ﴾ جَعَلَ النَّاسُ يُهَنِّئُونَه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم. وَفِي كَثِيرٍ مِنَ التَّفَاسِير، وَكُتُبِ الحَدِيث، عَنْ عَبْد الرَّحْمَانِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، أَنَّه لَقِيَه كَعْبُ بْن عُجْرة، فَقَالَ : أُهْدِي إِلَيْكَ هَدِيَّة سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم،

(51) سورة الأحزاب. الآية : 56.
(52) سورة الأحزاب. الآية : 56.

فَقُلْتُ : بَلَى، فَأهْدِهَا لِي، قَالَ لَما نَزَلَت : ﴿إِنَّ اللَّه وَمَلاَئِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ﴾ الآيَـة، 56 قُلْنَا : يا رَسُول اللَّه : قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّم عَلَيْك ؟ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ، قَالَ : قُولُوا : (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد).

مَعْنَى الصَّلاَة والسَّلاَم عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم : قَالَ الْعُلَمَاء : الصَّلاَةُ مِنَ اللَّه عَلَى نَبِيِّه رَحْمَتُه المَقْرُونَة بِالتَّعْظِيم، وَعَلَى غَيْرِه، مُطْلقُ الرَّحْمَة، وَمِنْ غَيْرِه تَعَالَى : الدُّعَاء مُطْلَقاً، لاَ فَرقَ بَيْنَ ملَكٍ وَبَشَر. وَأَمَّا السّلام، فَهُوَ السَّلامةُ مِنَ المَذَامِّ والنَّقَائِص. ونَقَلَ القَاضِي عِيَاض، عَن بَكر القُشَيْرِي قَالَ : الصَّلاَة عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم مِنَ اللَّهِ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةُ تَكْرِمَةٍ، وَعَلَى مَن دُونَ النَّبِيِّ رَحْمَةٌ.

ونـقَـل الـقُـسْـطَـلاَّنِـي، وَشَـيْـخُـه السَّـخَـاوِي عَـن الإِمَـامَـيـن الجَلِيلَيْن، الحَلِيمِي وَعَزِّ الدِّين بْنِ عَبْد السَّلاَم، أَنَّ صَلاَتَنَا عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم لَيْسَتْ شَفَاعَةً مِنَّا لَهُ، فَإِنَّ مثْلَنَا لاَ يَشفَع لِمِثْلِه، وَلَكِن اللَّه أَمَرَنَا بالمُكَافَئَة لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَأَنْعَمَ

عَلَيْنَا، فَإِن عجزْنَا عَنْهَا كَافَأْنَاهُ بالدُّعَاء، فَأَرْشَدْنا اللَّه لَمَّا عَلِمَ عَجْزَنَا عَن مُكَافَأة نَبيِّنَا صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم إِلَى الصَّلاَةِ عَلَيْه، لِتَكُونَ صَلاَتُنَا عَلَيْه مُكافَأةً عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْنَا، وَإِفْضَالِه عَلَيْنَا، إِذْ لاَ إِحْسَانَ أَفْضَلُ مِنْ إِحْسَانِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم.

الدُّعَـــاء

لاَبُدَّ لِلْمُؤْمِنِ أنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّه بالدُّعَاءِ، سَوَاءٌ أَثْنَاءَ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ، أوْ خَارِجَها، فَالدُّعَاء كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم : (الدُّعَاءُ سِلاَح المُؤمِن، وَعِمَادُ الدِّين، وَنُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْض وَهُوَ مُخُّ العِبَادَة)، واللَّه سُبْحَانَه يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيم : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين﴾[53] وَعَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِت رَضِي اللَّه عَنْه : أنّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا عَلَى الأَرْض مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَة إِلاَّ أَتَاهُ اللَّه تَعَالَى إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَة رَحِم، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْم : إِذَنْ نُكْثِر، قَالَ : اللَّه أَكْثَرُ) رَواهُ التّرمِذِي والحَاكِم، وَيَقُولُ الإِمَامُ القُشَيْرِي : والذِّكْرُ رُكْنٌ

(53) سورة غافر. الآية : 60.

قَوِيٌّ فِي طَرِيقِ الحَقِّ سُبْحَانَه وَتَعَالَى، بَلْ هُوَ العُمْدَة فِي هَذَا الطَّرِيق، وَلاَ يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى اللَّه، إِلاَّ بِدَوَامِ الذِّكْر، وَكَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَثِير الأَذْكَار، وَكَانَت لَهُ دَعَوَاتٌ مَأْثُورَةٌ عَنه، حِين يَسْتَيقِظُ مِنْ نَوْمِه وَعِنْدَ نَوْمِهِ، وَقَبْلَ صَلاَتِه وَبَعْدَهَا، وَحِينَ يَسْعَى إِلَى المَسْجِد، وَكَانَ يُلقّن أصْحابَه أَذْكَاراً وَدَعَوَاتٍ مُعَيَّنَة، وَطَلَبَ مِنْهُم أَنْ يُوَاظِبُوا عَلَيْهَا.

أَسْمَاءُ اللَّه الحُسْنَى

يَقُولُ اللَّه سُبْحَانَه وَتَعَالَى فِي كِتَابِه الكَرِيم : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا﴾[54] وَقَالَ : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوُ ادْعُوا الرَّحْمَانَ، أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاء الحُسْنَى﴾[55] (سُورَة الإِسْرَاء) ﴿اللَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾[56] أَيْ لِلَّه تَعَالَى أَحْسَنُ الأَسْمَاء وَأَجَلُّهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَشْرَفُهَا لاشْتِمَالِها عَلَى مَعَانِي التَّقْدِيسِ والتّعْظيمِ والتَّمْجِيد، قَال الإِمَام النَّسَفِي فِي تَفْسِيرِه : مِنْ أَسْمَائِه تَعَالَى مَا يَسْتَحِقُّه بِحَقَائِقِه (كالحَيّ)

(54) سورة الأعراف. الآية : 180.
(55) سورة الإسراء. الآية : 110.
(56) سورة طه. الآية : 8.

قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَ(البَاقِي) بَعْدَ كُلِّ شِيْءٍ، وَ(الْقَادِر) عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ(الْعَلِيمُ) بكُلِّ شَيْءٍ، وَ(الوَاحِدُ) الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء، وَمِنْهَا مَا تَسْتَحْسِنُه الأَنْفُسُ لآثارِهَا كَالْغَفُور والرَّحِيم، والشَّكُور، والْحَلِيم، وَمِنْهَا مَا يُوجِبُ التخلُّق بِه، كالعَفوّ، ومِنْهَا مَا يُوجِبُ مُرَاقَبَة الأَحْوَال، كَالسَّمِيع البَصِير، وَمِنْهَا مَا يُوجِبُ الإِجْلاَلَ، كَالعَظِيم وَالجَبَّار والْمُتَكَبِّر. وَقَال الإِمَام الآلُوسي فِي تَفْسِيرِه : مِنْ أَسْمَائِه تَعَالَى، مَا لاَ يَجُوزُ إِطْلاَقُه عَلَى غَيْرِه سُبْحَانه، كَاللَّه، والرَّحْمَان، وَمَا يَجُوزُ : كَالرَّحِيم والكَرِيم، وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّة)، وَمَعْنَى مَنْ أَحْصَاهَا : أي حَفِظَهَا، وَهِيَ : هُوَ اللَّه الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيم المَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلاَمُ، المُؤمِن، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الْجَبَّارُ، المُتَكَبِّر، الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّر، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيم، القابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِع، المُعِزُّ المُذِلّ، السَّمِيع، البَصِير، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِير، الحَلِيم، العَظِيم، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِير، الحَفِيظُ، المُقيتُ،

الحَسِيبُ، الجَلِيل، الكَرِيم، الرَّقِيب، المُجِيب، الوَاسِع، الحَكِيم، الوَدُود، المَجِيد، البَاعِث، الرَّشِيد، الحَقّ، الوَكِيل، القَوِيّ، الْمَتِين، الوَلِيّ، الحَمِيد، المُحْصِي، المُبْدِئُ، المُعِيد، المُحْيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّوم، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المقْتَدِرُ، المُقَدِّم، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ المُلْك، ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَام، المُقْسِطُ، الجَامِعُ، الغَنِيّ، المُغْنِي، المَانِعُ، الضّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ.

وَرَوَى الحَافِظ المُنْذِرِي فِي التَّرْغِيب والتَّرْهِيب، عَن مَعْقِل بْن يَسَار رَضِيَ اللَّه عَنْه، عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّهُ قَالَ : (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِح ثَلاَثَ مَرَّات : أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَان الرَّجِيم، وَقَرَأَ ثَلاَث آيَاتٍ مِن آخِر سُورَة الْحَشْر، وكَّلَ اللَّه بِهِ سَبْعِين أَلْفَ مَلَك، يُصَلُّونَ عَلَيْه حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ اليَوْم مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ قَالَهَا حِين يُمْسِي، كَانَ بِتِلْك المَنْزِلَة)، رَوَاهُ التّرْمذِي.

وَهَذِهِ الآيَات الثَّلاَث هِيَ : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيم، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ، لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى، يُسبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾(57).

وَينبغِي فِي قِرَاءَة هَذِه الآيَات، اسْتِحْضَار مَعَانِي هَذِهِ الأَسْمَاء العَلِيَّة، وَأَنْ تكُونَ التِّلاَوَة بِخُشُوع، وَخُضُوعٍ، وَعَلَى طَهَارَة، وَفَضْلُ كَلاَمِ اللَّه تَعَالَى عَلَى سَائِرِ الكَلاَمِ، كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِه.

وَمَعْنَى : (الرَّحِيم) إِرَادَة إِيصَال الخَيْر لِعِبَادِهِ، وَدَفْع الشَّرّ عَنْهُم، و(الرَّحْمَان) أَبْلَغُ مِنَ الرَّحِيم و(القُدُّوس) المُنَزَّهُ عَن سِمَات النَّقْصِ وَالْعُيُوب و(السَّلاَم) ذُو السَّلاَمَة مِن جَمِيع العُيُوب والنَّقَائِص، (الْمُؤْمِنُ) المُصَدِّقُ نَفْسَه وكُتُبه وَرُسُلَه فِيمَا بَلَّغُوه عَنْهُ، (المُهَيْمِنُ) الرَّقِيبُ الحَافِظُ لِكُلِّ شَيْءٍ، (العَزِيزُ) الَّذِي لاَ يُغْلَبُ مِن العِزَّة وَهِيَ القُوَّة، (الْجَبَّارُ) الَّذِي

(57) سورة الحشر. الآية : 22-24.

يَقْهَر عِبَادَه عَلَى كُلِّ مَا يُرِيدُ، (القَابِضُ) مُضَيِّق الرِّزْق عَلَى مَنْ يَشَاء، (الْبَاسِطُ) الَّذِي يَبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، (الخَافِضُ الرَّافِعُ) الوَاضِعُ مَنْ عَصَاهُ، والرَّافِعُ مَنْ تَوَلاْهُ، (المُقِيتُ) المُتَكَفِّلُ بَأَرْزَاقِ خَلْقِهِ، وَإِعْطَائِهِمْ أَقْوَاتَهُم، (الْحَسِيبُ) الكَافِي الَّذِي يَكْفِي عِبَادَه، (يَأيُّهَا النَّبِيءُ حَسْبُكَ اللَّهُ) (الوَاسِعُ) الَّذِي إِفْضَالُه كَامِلٌ وَنَوَالُه شَامِل، (البَاعِثُ) بَاعِثُ الرُّسُل الكِرَام إِلَى خَلْقِه، (الوَلِيّ) المُتَوَلِّي أُمُور الخَلْق كُلِّهَا، (الحَمِيد) الْمَحْمُودِ بِحَمْدِهِ لِنَفْسِهِ أَوْ بِحَمْدِهِ عِبَادِهِ لَهُ، (والحَمْدُ هُوَ الثَّنَاءُ) (الصَّمَد) المَقْصُودُ فِي الحَوَائِج، (الظَّاهِرُ البَاطِن) الظَّاهِرُ بِآيَاتِهِ وَمَصْنُوعَاتِه وَالبَاطِنُ بِكُنْهِ ذَاتِه وَصِفَاتِه، (الوَالِي) المَالِكُ لِلأَشْيَاء، (البَرُّ) فَاعِل البِرِّ وَالإِحْسَان، (المُقْسِطُ) العَادِلُ فِي حُكْمِه، (الجَامِعُ) يَجْمَعُ أَجْزَاء الخَلْقِ بَعْد تَفَرُّقِهَا عِنْدَ الحَشْر، والنَّشْر، (الْبَدِيع) المُبْدِعُ لِلأَسْمَاءِ، (الرَّشِيد) الَّذِي أَرْشَد الخَلْقَ وَهَدَاهُم إِلَى مَصَالِحِهِم، (الْوَارِثُ) الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الخَلْق.

بَعْضُ صِيَغِ الصَّلَوَات عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلّم

الصَّلاَة الإِبْرَاهِيمِيَّة : الصَّلاَةُ الإِبْرَاهِيمِيَّة، تُعتَبَر أَكْمَلَ وَأَتَمَّ صِيَغ الصَّلَوَات عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم، والَّتِي وَرَدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَنْهَا : (مَنْ قَالَ هَذِهِ الصَّلاَة، شَهِدْتُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِالشَّهَادَةِ، وشفَعْتُ لَهُ)، وهوَ حَدِيث حَسَن، وَهِيَ : (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِين، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) هَكَذَا وَرَدَت فِي الحَدِيث، دُونَ ذِكْر لفظ السِّيَادَة أيْ عَلَى سيِّدِنَا مُحَمَّد الخ، قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَجَر : وَزِيَادَة سَيِّدِنَا قَبْلَ مُحَمَّد لاَبَأْس بِهِ، بَلْ هِيَ الأَدَب فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم.

صِيغَة أُخْرَى لِلصَّلاة عَلَى رَسُول اللَّه وَرَدَت فِي صحِيحَي البُخَارِي ومُسْلِم وَهِيَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِك النَّبِيِ الأُمِّيّ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد وَأَزْوَاجِه وَذُرِّيَتِه، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد

النَّبِيّ الأمّيّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّد وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَتِه كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيم وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

صيغَة أُخْرَى لِلصَّلاَة عَلَى الرَّسُول : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَفِي المَلإِ الأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّين، ذكَر هذه الصَّلاَة، الإمَام الشَّعْرَاني، وَقَال : كانَ صَلَّى اللَّه علَيْه وَسَلَّم يَقُولُ : (مَنْ قَالَهَا وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي).

الصَّلاَة المُنْجِيَّة : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَلاَة تُنْجِينَا بِهَا مِنْ جَمِيع الأَهْوَال والآفَات، وتَقْضى لَنَا بِها جَمِيع الْحَاجَات، وتُطَهِّرُنا بِهَا مِن جَمِيع السَّيِّئَات، وترفَعُنَا بِهَا عِنْدَك أعْلَى الدَّرَجَات، وتُبَلِّغُنَا بِهَا مُنْتَهى الغايَات مِنْ جَمِيع الخَيْرَات فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَات.

صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّد، قَالَ الشعرَانِي : مَنْ قَالَ هَذِهِ الصَّلاَة، فَقَدْ فَتَحَ عَلى نَفْسِهِ، سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الرَّحْمَةِ، وَأَلْقَى اللَّه مَحَبَّتَه فِي قُلُوبِ النَّاس، فَلاَ يبغَضُه إِلاَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ نِفَاق.

دَعَوات يَنْبَغِي أَنْ تُحْفَظ وتُقْرأ

1 ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِك، وحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً، وَلِسَاناً صَادِقاً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَم، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوب.

2 ـ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي ذَكَّاراً لَكَ، شَكَّاراً لَكَ، مِطْوَاعاً لَكَ، مُخْبِتاً إِلَيْكَ، أَوَّاهاً مُنِيباً، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، واغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، واهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، واسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي.

3 ـ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي.

4 ـ اللَّهُمَّ إِنِّيَ أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِين، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وتَرْحَمْنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ مِنْهَا غَيْر مَفْتُون.

5 ـ وَرَوَى التِّرْمِذِي، عَنْ بُرَيْدَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ قَالَ عشْر كَلِمَاتٍ عِنْدَ دُبُرِ كُلِّ صَلاَةِ غَدَاةٍ، وَجَدَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَهُنَّ مَكْفِيّاً مَجْزِيّاً : خَمْسٌ

للدُّنْيَا، وَخَمْسٌ لِلأُخْرَى : حَسْبِيَ اللَّهُ لِدِينِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا أَهَمَّنِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ بَغَى عَلَيَّ، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ حَسَدَنِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ المَوْتِ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ المَسْأَلَةِ فِي القَبْرِ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ المِيزَانِ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الصِّرَاطِ، حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

6 ـ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ عَلَى الظَّمَإِ.

7 ـ اللَّهُمَّ اجعَل خَيْر عُمُرِي آخِرَه، وخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْم لِقَائِك.

8 ـ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي صَبُوراً، واجْعَلْنِي شَكُوراً، واجْعَلنِي فِي عَيْنِي صَغِيراً، وَفِي أَعْيُن النَّاسِ كَبِيراً، ربّ اغفِرْ وارْحَمْ، واهْدِنِي السَّبِيل الأَقْوَم.

9 ـ اللَّهُمَّ إِنِّيَ أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَع وِزْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وتُحَصِّنَ فَرْجِي، وتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَّة، آمِين.

10 ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أنْ تُبَارِكَ لِي فِي سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي، وَفِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي، وَفِي أَهْلِي، وَفِي مَحْيَايَ، وَفِي عَمَلِي، وتقَبَّل حَسَنَاتِي، وَأَسأَلُك الدَّرجَاتِ العُلَى مِن الجَنَّة، آمِين.

11 ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن جَهْدِ الْبَلاَء، وَدَرْكِ الشَّقَاء، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأعْدَاءِ.

12 ـ اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك، اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ وَالأَبْصَار، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِك.

13 ـ اللَّهُمّ اغفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأرْضَ عَنَّا، وتَقَبَّلْ مِنَّا، وَأَدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، وَأَصْلِح لَنَا شَأْنَنَا كُلّه.

14 ـ اللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ لَنَا ذَنْباً إِلاَّ غَفَرْتَه، وَلاَ عَيْباً إِلاَّ سَتَرْتَه، وَلاَ هَمّاً إِلاَّ فَرَّجْتَه، وَلاَ دَيْناً إِلاَّ قَضَيْتَه، وَلاَ حَاجَة مِنْ حَوَائِج الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هِيَ لَكَ رِضاً، وَلَنَا صَلاَحاً، إِلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

15 ـ اللَّهُمّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ، تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وتَلُمُّ بِهَا شعَتِي، وتَحفَظُ بِهَا غَائِبِي، وتَرفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُبيِّضُ بِهَا وَجْهِي، وتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وترُدُّ بَهَا أُلْفَتِي، وتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

16 ـ اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَاناً صَادِقاً، وَيَقِيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْر، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِك فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

17 ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَان، وَإِيمَاناً فِي حُسْنِ خُلُق، وَنَجَاحاً يَتْبَعُه نَجَاح، وَرَحْمَةً مِنْك، وَعَافِيَةً مِنْكَ، ومَغفِرَةً منكَ وَرِضْوَاناً.

18 ـ اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ ـ وَقَوْلُكَ الحَقّ ـ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾ اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ الإِجَابَةُ، وَهَذَا الجَهْدُ، وَعَلَيْكَ التَّكْلاَن، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوّة إِلاَّ بِكَ.

19 ـ اللَّهُمَّ فَارِجَ الْهَمِّ، وَكَاشِفَ الغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِّينَ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا ورَحِيمَهُمَا، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاك.

20 ـ اللَّهُمَّ أَحينَا مُسْلِمِينَ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِين، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِين.

التَّوْبَة وَاجِبَة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الكَرِيم : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّه جَمِيعاً أَيُّهَا المُومِنُون لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾[58] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّه تَوْبَة نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمُ أنْ يُكفِّرَ عَنْكم سَيِّآتِكم، وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيءَ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُم يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِم وَبَيْنَ أَيْمَانِهِم، يَقُولُونَ رَبَّنَا أتْمِمْ لَنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنَا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[59] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم يَقُول : (وَاللَّه إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّه وَأَتُوبُ إِلَيْه فِي اليَوْم أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّة) (رَوَاه البُخَاري).

فَالتَّوْبَة وَاجِبَة وُجُوباً عَيْنِيّاً مِنْ كُلِّ ذنْب، قَالَ الشَّيْخ عَبْد الوَاحِد بْنُ عَاشِر :

وتَـوبَـةٌ مِـن كُـلِّ ذنْـبٍ يُـجْتَـرَمْ تَجِبُ فَوْراً مُطْلَقاً وَهْيَ النَّدَمْ

فَالإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، مُعَرّضٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الأَخْطَاءِ، سَوَاءٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِخَالِقِهِ الَّذِي خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ، فَتَارَةً تدفَعُه النَّفْسُ

(58) سورة النور. الآية : 31.
(59) سورة التحريم. الآية : 8.

الأَمَّارَة إِلَى اقْتِرَافِ بَعْضِ المَعَاصِي الَّتِي نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهَا، مِثْلُ الغِيبَة والنَّمِيمَة والكَذِب وَغَيْر ذَلِكَ مِنَ المَعَاصِي، وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ المَرَّةَ بَعْدَ الأُخْرَى، لِيَرْدَعَها وَيَتُوبَ إِلَيْهِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى، وَلِذَلِكَ ثَلاَثَةُ شُرُوط، لاَبُدَّ مِن تَوفِّرِهَا لِتَكُونَ تَوْبَتُه صَادِقَةً وَصَحِيحَةً وَمَقْبُولَةً، وَهَذِهِ الشُّرُوطُ، هِيَ أَوَّلاً : أَنْ يُقْلِعَ عَنِ المَعْصِيَةِ أَيْ يَكُفُّ عَنْهَا. ثانِياً : أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهِ لَهَا، ويُشْفِقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ العِقَابِ بِسَبَبِه مُخَالَفَتِهِ لأَمْرِ رَبِّهِ. ثَالِثاً : أَنْ يَعْزِمَ عَزْماً أَكِيداً عَلَى أنْ لاَ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الذَّنْب الَّذِي ارتَكَبَه؛ مَهْمَا كَانتِ الظُّرُوفُ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا، فَإن فُقِدَ شَرْطٌ مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ الثَّلاَثَةِ، فَإِنَّ تَوْبَتَه غَيْر مَقْبُولَة، وَغَيْرُ صَحِيحَة، لأَنَّهُ لَوْ صَحَّ عَزْمُهُ عَلَى التَّوْبَة، لَنَفَّذَ تِلْك الشُّرُوطِ كُلّها بِصِدْقٍ وَيَقِينٍ وَعَزْم أَكِيد.

أَمَّا إِذَا كَانَتِ المَعْصِيَّة أَو الذَّنْب فِي حَقِّ شَخْصٍ آدَمِيّ، كَمَنْ هَتَك عِرْضَ أَخِيه الإِنسَان، وَاغْتَابَ وَتَكَلَّمَ بِمَا يَسُوءُ إِلَيْه، فَإِنَّهُ لاَ تُقْبَل تَوبَتُهُ إِلاَّ بِشُرُوطٍ أَرْبَعَةٍ : هِيَ الثَّلاَثَة الَّتِي ذَكَرْنَا وَالمُتَّصِلة بِخَالِقِه سُبْحَانَه، وَهِيَ : النَّدَم، والتَّرْكُ لِلذَّنْبِ، وَعَدَمُ العَوْدَة إِلَيْه، يُضَافُ إِلَيْهَا شَرْطٌ رَابِعٌ : أَنْ يَبْرَأَ مِمَّنْ تَكَلَّم فِيهِ بِعَيْبٍ، أو ظَلَمَهُ

فِي مَالِهِ أَوْ جَسَدِه، فَهَذَا لاَ يُسَامِحُه رَبُّهُ سُبْحَانَه إِلاَّ إِذَا سَامَحَه الَّذِي تَكَلَّمَ فِيهِ، أَوْ رَدَّ إِلَيْهِ مَالَه الَّذِي اغتَصَبَه أَوْ سَرِقَه لَهُ، أو اقْتَصَّ مِنْه، حَيْثُ يَعِيشُ مرْتَاحَ الضَّمِيرِ، لأَنَّهُ بَرَّأَ نَفْسَه، وأَرْضَى خَصْمَه، وَتَابَ إِلَى رَبِّه تَوْبَةً صَادِقَة.

وَاللَّهُ سُبْحَانَه يَطْلُبُ مِنْ عِبَادِهِ التَّوْبَةَ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ وَالمُنَاسَبَاتِ، لِيَعِيشُوا عِيشَةً طَاهِرَة نَقِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا عِصْيَان لِلخَالِق، وَلاَ إِذَايَة لِلْمَخْلُوقِ كَيْفَمَا كَانَ هَذَا المَخْلُوق.

وَلَقَدْ رَوَى أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : (إِنَّ اللَّه تَعَالَى يبْسُطُ يَدَه بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُط يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطلُع الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَه يُحبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ، وَمِنَ الدَّعَوَات الوَارِدَة فِي التَّوْبَة، والَّتِي تُقَالُ بَعْدَ الطَّهَارَتَين الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى : (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، واجْعَلْنِي شَكُوراً، واجْعَلْنِي صَبُوراً وَاجْعَلْنِي أَذْكُرُكَ كَثِيراً وَأُسَبِّحُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) اللَّهُمَّ آمِين.

رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، واغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأجِبْ دَعْوَتِي، وَتَبِّتْ حُجَّتِي، واهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، واسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي، آمِين وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين.

تلاوة القرآن

من الإيمَانِ بِاللَّه، الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كِتَابُ اللَّه المُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاء، وَأَنَّهُ ﴿لاَ يَأْتِيه البَاطِلُ مِنْ بَيْن يَدَيْه وَلاَ مِنْ خَلْفِه، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(60) ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(61) ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَم، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(62) ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(63) ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ، لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَاب﴾(64) ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُومِنِينَ﴾(65) ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ

(60) سورة فصلت. الآية : 42.
(61) سورة هود. الآية : 1.
(62) سورة المائدة. الآية : 15.
(63) سورة الواقعة. الآيتان : 77 - 80.
(64) سورة ص. الآية : 29.
(65) سورة الإسراء. الآية : 82.

مِنْ رَبِّكُم، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُور، وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُومِنِينَ﴾[66] ﴿وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[67] ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[68] ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[69].

أَمَرَنَا الْحَقُّ بِتِلاَوَةِ القُرْآنِ، والتَّدَبُّرِ فِي آيَاتِهِ، وَحِفْظِ مَا تَيَسَّرَ مِنْ آيَاتِهِ، فَالْقُرْآن يَهْدِينَا إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَالْخَيْر والهُدَى، وَيُنِيرُ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيمَان والْيَقِين، وَيَهْدِينَا إِلَى حَقِيقَةِ التَّوْحِيد، وَيُقَرِّبُنَا إِلَى رَبِّنَا الْكَبِير المُتَعَالِي، فَالإِيمَانُ الْحَقُّ، يَصِلُ إِلَيْهِ المُومِنُ عَنْ طَرِيق القُرْآن، والتَّدَبُّر فِي آيَاتِهِ المُنْزَلاَتِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ.

فَاللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِالقُرْآنِ، واجْعَلْهُ لَنَا إِمَاماً وَنُوراً وهُدىً وَرَحْمَةً. لَقَدْ كَانَ القُرْآنُ الكَرِيمُ وَسِيلَةَ الدَّعْوَة إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الإِسْلاَم، فَبِالقُرْآن الكَرِيم فَتَحَ اللَّهُ قُلُوبَ الصَّادِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ، وَبِالقُرْآنِ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَم، وَسَادَتِ الأُخُوَّةُ بَيْنَ المُسْلِمِين فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فَالمُسْلِم عِنْدَمَا يَتْلُو قَوْلَ اللَّه تَعَالَى ﴿إِنَّمَا المُومِنُونَ

(66) سورة يونس. الآية : 57.
(67) سورة المزمِّل. الآية : 2.
(68) سورة المرمِّل. الآية : 20.
(69) سورة الإسراء. الآية : 78.

إِخْوَة﴾[70] يشْعُرُ فِي عَمِيقِ قَلْبِه، أَيْنَمَا حَلَّ وَارْتَحَلَ، أَنَّهُ حَلَّ فِي أَرْضٍ لَهُ فِيهَا إِخْوَةٌ مُومِنُون، تَجْمَعُهُ مَعَهُمْ أُخُوَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، هِيَ أُخُوَّة الْعَقِيدَة، أُخُوَّةُ الإِيمَان، الَّتِي لاَ تُبَاعُ وَلاَ تُشْتَرَى، وَلاَ تَزِيغُ بِهَا الأَهْوَاءُ وَالأَغْرَاض. والمَدْرَسَةُ القُرْآنِيَّة، هِيَ الَّتِي خَرَّجَتِ الصَّادِقِينَ الأَوَّلِينَ، الَّذِينَ نَشَرُوا دَعْوَةَ الإِسْلاَمِ، وَأَقَامُوا دَوْلَة القُرْآن، فِي كَثِيرٍ مِنْ أَرْجَاءِ العَالَمِ الإِنْسَانِي، فَصَارَ القُرْآن مَنَاراً يُهْتَدَى بِهِ، فِي نَشْرِ الفَضَائِل، وَمُكَافَحَة الأَضَالِيل، وَشَعَائِرَ الدِّين، والْقِيَمَ العُلْيَا الَّتِي تهْتَدَى بِهَا الإِنْسَانِيَّة، وتَحْكُم سُلُوكَ الأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ.

عَن طَرِيقِ القُرْآن، انتَشَرَ الإِسْلاَمُ فِي المَعْمُور، فالمُسْلِمُ عندَمَا يَعْتَنِقُ الإِسْلاَم، يَصِيرُ حَتْماً يَقْرَأُ القُرْآن، سَوَاء أَثْنَاءَ الصَّلَوَاتِ، أَوْ خَارِجَهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عِنْدَمَا بَعَثَ سَيِّدنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ أَوَّل مَا خَاطَبَهُ بِهِ، قَوْلُه تَعَالَى : ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[71] والأَمْرُ بِالقِرَاءَة، تَبِعَهُ التَّعْلِيمُ بالقَلَمِ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾[72] وَهَكَذَا كَان الإِسْلاَمُ يَدْعُو إِلَى القِرَاءَة وَإِلَى الكِتَابَة، وَإِلَى العِلْم.

(70) سورة الحجرات. الآية : 10.
(71) سورة إقرأ. الآية : 1.
(72) سورة إقرأ. الآية : 4-5.

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، يَامُرُ أَصْحَابَهُ الكتَّاب بِكِتَابَة القُرْآن فِي الصُّحُف، وَيُرْشِدُهُم إِلَى تَرْتِيب الآيَات والسُّوَر، وَلَمْ يُفَارِق رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم هَذِه الحَيَاةَ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَ القُرْآن مَحْفُوظاً فِي الصُّدُور، مَكْتُوباً فِي السُّطُور، سَوَاء فِي الرِّقَاع أَوِ الصُّحُف أَوْ بِلِحَاءِ الشَّجَر.

فَالقُرْآن الَّذِي بَيْن أَيْدِينَا فِي مَشَارِقِ الأَرْض وَمَغَارِبِهَا، مَحْفُوظٌ مِنْ كُلِّ تَغْيِيرٍ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(73).

والمَغَارِبَةُ وَالأَنْدَلُسِيُّونَ وَالْحَمْدُ لِلَّه، اعْتَنَوْا بِالقُرْآن كِتَابَةً وَحِفْظاً، فَكَانَ يحفظُهُ الرِّجَال والنِّسَاء، فَلَقَدْ جَاءَ فِي تَارِيخ المُعجِب للمراكُشِي، أَنَّه (كَانَ بالرَّبض الشَّرْقِي مِنْ قُرْطُبَةَ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ امْرَأَة، يَكتُبْن المَصَاحِف بالخَطّ الكُوفِي، وَمَا كَانَ بالأَنْدَلُس، انْتَقَلَ إِلَى المَغْرِب، فَبَقِي المَغَارِبَة يَحفَظُونَ القُرْآنَ وَيَكْتُبُونَه، وكَانَ الخَطَّاطُون يَتَبَارَوْنَ فِي الكِتَابَة القُرْآنِيَّة، بَلْ كَانَ بَعْضُ المُلُوك أَنْفُسُهُم، يُلْزِمُونَ أَنْفُسَهُم بِكِتَابَة المَصَاحِف تَقَرُّباً إِلَى اللَّه، أَمَّا مِنْ حَيْثُ حِفْظُ القُرْآن وتَحْفِيظُهُ لِلأَبْنَاء والذُّرِّيَّة، فَلَمْ يَكُن أيّ ابْنٍ يَتَأَخَّر عَنِ الانْخِرَاط فِي سِلْك تَلاَمِذَة الكَتَاتِيب

(73) سورة الحجر. الآية : 9.

القُرْآنِيَّة، لِيَحْفَظَ مَا يَتَيَسَّر لَهُ مِنَ القُرْآن، لِيَكُونَ أَوَّل مَا يَطبَعُ قَلْبَهُ وَعَقْلَه، هُوَ نُورُ القُرْآن، وَكَانَ دَائِماً أَمَامَ أَعْيُن المُوَجِّهِين الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُود عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : (خَيْرُكُم مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآن وَعَلَّمَهُ) وَمِنْ هُنَا كَانَتِ الكَتَاتِيبُ القُرْآنِيَّة غَاصَّة بِالأَبْنَاء، مُرْتَفِعَة أَصْوَاتُهُم بِتِرْدَادِ الآيَاتِ القُرْآنِيَّة، وَكَانُوا لاَ يَحْفَظُونَ أَيَّ شَيْءٍ قَبْلَ حِفْظِهِم مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآن.

وَكَانَ الكِبَار يَتعبَّدُون بتِلاوَة القُرْآن، آنَاءَ اللَّيْل وَأَطْرَاف النَّهَار، ممثلِين أمْرَ رَسُولِهِم عَلَيْه السَّلاَم كَمَا رَوَاه أَبُو سَعِيد الخُدْري رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فِي الحَدِيث القُدْسِي : (مَنْ شَغَلَهُ القُرْآن عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِين) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي. وَجَاءَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَة : أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا اجْتَمَع قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بيُوتِ اللَّه، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّه، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُم، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَة، وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَة، وَذَكَرَهم اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) رَوَاهُ مُسْلِم وَأَبُو دَاوُد.

وَرَوَى عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (مَنْ قَرَأَ حَرْفاً وَاحِداً مِنْ كِتَابِ اللَّه، فَلَهُ بِهِ

حَسَنَة، والحَسَنَةُ بعَشْر أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ : (ألمٌ) حَرْف، وَلَكِنْ، أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، والمِيمُ حَرْفٌ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ.

هَذِهِ الدَّعْوةُ المُتَكَرِّرَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم لِتِلاَوَة القُرْآن، هِيَ الَّتِي جَعَلَت المَغَارِبَة يَحْرِصُونَ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى تَعْلِيم أَبْنَائِهِم وَتَدْرِيبِهِم عَلَى تِلاَوَة القُرْآن فِي المَسَاجِد والبُيُوت، فَكَانَ الأَبُ يَأْخُذُ ابْنَهُ إِلَى المَسْجِد، لِيَقْرَأ الحِزْبَ فِي المَسْجِدِ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ صَلاَةِ المَغْرِب، وَيَوْم الجُمُعَة قَبْلَ الصَّلاَة، وَهَكَذَا كَانَ يُنَشَّأُ الأَبْنَاء عَلَى تِلاَوَة القُرْآن مِن صِغَرِهِم، لِيَأْلَفُوا تِلاَوَتَهُ والتَّدَبُّرَ فِي آيَاتِهِ، والاِتِّعَاظَ بَمَوَاعِظِه، والاستِمدَاد مِنْ أَنْوَارِهِ فِي كِبَرِهِم، فَيَبْقَونَ مُرتَبِطِين بِالْقُرْآن فِي جَمِيع أَطْوَار حَيَاتِهِم.

وَحَذَارِ مِنَ الغَفْلَة عَن تِلاوَة القُرْآن الَّتِي بَدَأَتْ بعضُ الظَّوَاهِر تَظْهَر فِي المجتَمَع لَمْ تُكُن فِي السَّابق، حَيْثُ بَدَأنَا نُلاَحِظ تَلاَمِذَة المَدَارِس لاَ يَقْصِدُون بُيُوت اللَّه إِلاَّ قَلِيلاً بَلْ بَدَأنَا نُلاَحِظُ تَخَلُّفَهُم حَتَّى أَيَّام (الجُمُعَة)، حَيْثُ يَكُون المُنَادى يَوْمَ الجُمُعَة والتَّلاَمِيذ يَلْعَبُون أَمَامَ أَبْوَابِ المَدَارِسِ وَغَيْرِهَا، وَكَأَنَّ الأَمْر لاَ يَعْنِيهِم، وَلاَ يَعْنِي والِديهِم

بالخُصُوص. إنَّ هَذِه الغَفْلَةَ مِنَ الآبَاءِ عَنْ أَبْنَائِهِم فِيمَا يَتَعَلَّق بِارْتِبَاطِهِم بِالقُرْآن، سَتَجْعَل هَؤُلاَء الأَبْنَاء، لاَ يَشْعُرُون أَنَّهُم مِنَ الأُمَّةِ الَّتِي وَحَّدَهَا القُرآنُ، وَمِن أُمَّة القُرْآن، وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِن سَخَطِ اللَّه، والعِيَاذُ بِاللَّه.

لَقَدْ حَضَّنَا القُرْآنُ عَلَى تِلاَوَتِه، وَعَلَى الإِنْصَاتِ عِنْدَ تِلاَوَتِه، وَعَلَى قِرَاءَة ما تَيَسَّر مِنْه وَعَلَى الاستِعَاذَةِ باللَّه مِنَ الشَّيْطَان الرَّجِيم لَدَى تِلاَوَتِه، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَإِذَا قَرَأتَ القُرْآن فاسْتَعِذْ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَان الرَّجِيم﴾[74] وَقَال : ﴿وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُم تُرْحَمُون﴾[75]. وَقَالَ : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآن جَعَلْنَا بَيْنَك وَبَيْن الَّذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَة حجَاباً مستُوراً﴾[76] وَقَالَ : ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[77].

وَفِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الطَّبَرَانِي وَالْبَيْهَقِيّ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَشْرَفُ أُمَّتِي حَمَلَةُ القُرْآن، وَأَصْحَابُ اللَّيْل).

(74) سورة النحل. الآية : 98.
(75) سورة الأعراف. الآية : 204.
(76) سورة الإسراء. الآية : 45.
(77) سورة محمد. الآية : 24.

وَرَوَى التِّرْمِذِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : (يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلِ مَا أُعْطِي السَّائِلِين، وَفَضْلُ كَلاَمِ اللَّه، عَلَى سَائِرِ الْكَلاَم، كَفَضْلِ اللَّه عَلَى خَلْقِهِ.

وَرَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو مَاجَهْ عَنْ أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم : (يُقَالُ لِصَاحِبِ القُــرْآنِ إِذَا دَخَلَ الجَنَّة : إِقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ مِنْهُ).

وَرَوَى أَحْمَدُ والنِّسَائِي وابْنُ مَاجَهْ والحَاكِم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ : أَهْلُ القُرْآن، هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ.

آيَاتٌ وَسُوَرٌ مِنَ القُرْآن يَنْبَغِي حِفْظُهَا

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم : (فَاتِحَةُ الكِتَابِ، شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ) روَاه البَيْهَقِي.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام : (فَاتِحَةُ الكِتَاب، أُنْزِلَتْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ) روَاه ابْن رَاهَويْه عن علي رَضِيَ اللَّه عَنْه.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام : (سُورَةُ البَقَرَة، فِيهَا آيَةٌ سَيِّدَةُ آيِ القُرْآنِ، لاَ تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ وَفِيهِ شَيْطَانٌ إِلاَّ خَرَجَ مِنْهُ : آيَةُ الكُرْسِيّ) رواهُ الحَاكِم عَن أَبِي هُرَيْرَة.

وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَتَمَ سُورَة البَقَرَة بِآيَتَيْنِ أَعْطَانِيهِمَا مِنْ كَنْزِه الَّذِي تَحْتَ العَرْشِ، فَتَعَلَّمُوهُمَا وَعَلِّمُوهُنَّ نِسَاءَكم وَأَبْنَاءَكُم، فَإِنَّهُمَا صَلاَةٌ وقِرَاءَةٌ وَدُعَاءٌ) رَوَاهُ الحَاكِم.

ومِمَّا يَنْبَغِي أنْ يَحفَظَ الأبنَاءَ زِيَادَةً عَلَى حِزْبِ (سَبِّحْ) سُورَة الرَّحْمَان، وَسُورَة الدّخَان وسُورَة الوَاقِعَة وَسُورَة الحَشْر وسُورَةُ تَبَارَكَ وَسُورَة القَدْر وَإِن اسْتَطَاع أن يَحْفَظَ أكْثَرَ، مِثل سُورَة الكَهْف، وَسُورَةُ يَس، فَلَقَد قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلباً، وَقَلْبُ القُرْآن، سورَة (يس) ومَن قَرَأ (يس) كَتَبَ اللَّه لَه بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَة القُرْآن عَشْرَ مَرَّات) رَواه التّرْمذِي عَن أَنس.

إِنَّ حِفْظ سُور مِنَ القُرْآن وَقِرَاءَتِهَا، تَمْلأ قَلْبَ القارِئ خَشْيَة وَإِيمَاناً وَصِدْقاً مَعَ اللَّهِ تَعالَى، فلْنُعَلِّمْ أبْنَاءَنَا، ولنُحفِّظْهُم سُوَراً

مِنَ القُرْآن، ولْنحضَّهُم عَلَى تِلاَوَتِهَا فِي كُلِّ يَوْم حَسَبَ مَا يَسْتَطِيعُون، تُكْسِبْهُم تِلاَوَة القُرْآن رِقَّةً وَخَشيَة وَقُرْباً مِنْ رَبِّهم، ولْيَسْتَفِيدُوا مِنْ حِفظِهم لِلْقُرْآن زِيَادَةً علَى ذَلِك مَعْرِفَة بِلغَة القُرْآن، وَإِدْراكاً لبَلاَغَتِه فِي البَيَان، واللَّه يَهْدِي أَبْنَاءَنَا للصِّرَاطِ المُسْتَقِيم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَم﴾[78].

(78) سورة الإسراء. الآية : 9.

كلمة ختامية

اَلدِّينُ غَرِيزَةٌ فِي الإِنْسَانِ، وَفِطْرَةٌ فَطَرَ ٱللَّهُ الإِنْسَانَ عَلَيْهَا

أَبدَأُ هَذِهِ الكَلِمَة الخِتَامِيَّة لِهَذَا الكُتَيِّب الجَدِيد، الَّذِي جَعلتُ عُنْوَانَه : **تعَلَّمْ دِينَكَ** : «**تَوْجِيهَاتٌ دِينِيَّةٌ عَقَائِدِيَّةٌ**» بِآيَة شَرِيفَة فِي سُورَة (الرُّوم) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[79] قَالَ الإِمَام الطَّبَرِيّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الآيَة : (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُه : فَسَدِّدْ وَجْهَكَ نَحْوَ الوَجْهِ الَّذِي وَجَّهَكَ إِلَيْهِ رَبُّكَ يَا مُحَمَّد لِطَاعَتِه، وَهِيَ الدِّينُ حَنِيفاً يَقُول : (مُسْتَقِيماً لِدِينِهِ وَطَاعَتِه)، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا﴾، يَقُولُ : صَنْعَةُ اللَّه الَّتِي خَلَقَ النَّاسَ عَلَيْهَا).

ثُمَّ يَقُولُ الطَّبَرِي : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِه : فِطْرَةَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها، قالَ : الإِسْلاَمُ مُذْ خَلَقَهم اللَّهُ مِنْ آدَمَ جَمِيعاً، يقِرُّون بِذَلِك. وقَرَأ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن

(79) سور الروم. الآية : 30.

ظُهُورِهِمْ ذريَّاتِهُم وَأَشْهَدَهُم عَلَى أنْفُسِهِم، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا : بَلَى شَهِدْنَا﴾[80] وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَم قَالَ : مَرَّ عُمَرُ بِمُعَاذَ بْنِ جَبَلَ فَقَالَ : مَا قِوَام هَذِهِ الأُمَّة ؟ قَالَ معَاذ : ثلاث وَهُنَّ المُنجِيَات : 1) **الإِخْلاَص** وَهِي الفِطْرَة (فِطرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) و2) **الصَّلاَة**، وَهِيَ المِلَّة و3) **الطَّاعَة**، وَهِي العِصْمَة، قَال عُمَر صَدَقْت، وقولُه : (لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه)، أَيْ لاَ تَغْيِيرَ لِدِينِ اللَّه، أَيْ لاَ يَصْلُحُ ذَلِكَ، ولاَ يَنْبَغي أنْ يُفْعَل، إلَى أنْ قَالَ الطَّبَري وَقوله : (ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ) يقُولُ تَعَالَى ذكرُه : إن إقَامَتَكَ وَجْهَك للدِّين حَنِيفاً، غَيْرَ مُغيَّر وَلاَ مُبَدَّل، هُوَ الدِّينُ القَيِّم، يَعْنِي المُسْتَقِيم، الَّذِي لاَ عِوَجَ فِيهِ عَنِ الاِسْتِقَامَة مِنَ الحَنِيفيَّة إلَى اليَهُودِيَّة والنَّصْرَانِيَّة، وغير ذَلِكَ مِنَ الضَّلاَلات والبِدَع المُحْدَثة. (انتهَى كَلاَم الطَّبَري).

وَقَالَ الإِمَامُ الفَخْرُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِ الآيَة المَذْكُورَة : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ أيْ إذَا تَبَيَّنَ الأَمْرُ، وَظَهَرَتِ الوَحْدَانِيَّةَ، وَلَمْ يَهْتَدِ المُشْرِكُ، فَلاَ تَلْتَفِتْ أَنْتَ إِلَيْهِم، وأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين، أَيْ أَقْبِلْ بِكُلِّكَ عَلَى الدِّين، عَبَّرَ عَنِ الذَّاتِ

(80) سورة الأعراف. الآية : 172.

بِالْوَجْه، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[81] أَيْ ذَاتَه بِصِفَاتِه، وَقَولْه : ﴿حَنِيفاً﴾ أَيْ مَائِلاً عَن كُلِّ مَا عَدَاهُ، أيْ أَقْبِلْ عَلَى الدِّين، ومِلْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، أَيْ لاَ يَكُونُ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ آخَرَ فَتَعُودُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿فِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وَهِيَ التَّوْحِيد، فَإِنَّ اللَّه فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ حَيْثُ أَخَذَهُم مِن ظَهْرِ آدَمَ وَسَأَلَهُم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾ فَقَالوا : بَلَى ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه﴾ أي الوَحْدَانِيَّة مُتَرَسِّخَةٌ فِيهِمْ، لاَ تَغَيُّر لَهَا، حَتَّى إِنْ سَأَلتَهم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، يَقُولُونَ اللَّه، لكنَّ الإِيمَانَ الفِطْرِي غَيْر كَاف. ثم قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ هُو الدِّين المُسْتَقِيم.

وَجَاء فِي تَفْسِير (المِيزَان) للعَلاَّمَة مُحمَّد حُسَيْن الطَّبَاطِبَائِي فِي تَفْسِير الآيَة المذكُورَة، فَقَوْلُه : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين﴾ المُراد بِإِقَامَة الوَجْه لِلدِّين، الإِقْبَالُ عَلَيْه بالتَّوجُّه مِنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ مِنْهُ، كَالمُقْبِل عَلَى الشَّيْء بقَصْر النَّظَرِ فِيه، بِحَيْثُ لاَ يَلْتَفِتُ عَنْهُ يَميناً وَشِمَالاً، والظَّاهِر أَنَّ اللاَّمَ فِي الدِّينِ للعَهْد، والمُرَادُ بِهِ الإِسْلاَم.

(81) سورة القصص. الآية : 88.

وَقَوْلُه حَنِيفاً، والحَنْفُ : مَيْلُ القَدمَين إِلَى الوَسطِ، والمُرَادُ بِهِ الاعْتِدَال. وقَوْله : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ : الفِطْرَة بِنَاء نَوْعٍ مِنَ الفِطْر، بمَعْنَى الإِيجَادِ والإِبْدَاع. و(فِطْرَةَ اللَّه) منصُوبٌ عَلَى الإِغْرَاق : أيْ إلْزَمِ الفِطْرَة، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أنَّ هَذَا الدِّين الَّذِي يَجِبُ إِقَامَة الوِجْهِ له، هُو الَّذِي يهْتِف بِهِ الخِلْقة، وتهدِي إِلَيْهِ الفِطْرَة الإِلَهِيَّة الَّتِي لاَ تَبْدِيلَ لَهَا، وَذَلِكَ أنَّه لَيْسَ الدِّينُ إِلاَّ سُنَّةَ الحَيَاة، والسَّبِيلَ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَان أنْ يَسْلُكَهَا، حَتَّى يَسْعَد فِي حَيَاتِه، فَلاَ غَايَةَ للإِنْسَانِ يَتْبَعُهَا إِلاَّ السَّعَادَة، وَقَدْ هَدَى كُلّ نَوْع مِن أَنْوَاعِ الخَلِيقَة إِلَى سَعَادَتِه الَّتِي هِيَ بُغْيَةُ حَيَاتِه، بِفِطْرَتِه وَنَوْعِ خِلْقَتِه، وَجَهَّز فِي وُجُودِه بِمَا يُنَاسِبُ غَايَتَه مِن التَّجْهِيز، قَالَ تَعَالَى : ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[82] (سُورَة طَه) وَقَالَ : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[83] (سُورَة الأَعْلَى) فَالإِنْسَان كَسَائِرِ الأَنْوَاع المَخْلُوقَة، مَفْطُورٌ بِفِطْرَةٍ تَهْدِيهِ إِلَى تَتمِيمِ نَوَاقِصِه، وَرَفْعِ حَوَائِجِه، وَتَهْتِفُ لَهُ بِمَا يَنفَعُه وَمَا يَضرُّه فِي حَيَاتِه، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

(82) سورة طه. الآية : 50.
(83) سورة الأعلى. الآية : 2-3.

وَتَقْوَاهَا﴾[84] (سورة الشمس) وهو مع ذلك مُجَهَّزٌ بِمَا يَتِمُّ لَه بِهِ مَا يَجِبُ لَه أنْ يقصِدَه مِنَ العَمَل. قَالَ تَعَالَى : ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَه﴾[85] (سورة عَبَسَ) فَلِلإِنْسَان فِطْرَةٌ خَاصَّة، تَهْدِيه إِلَى سُنَّة خَاصَّة فِي الحَيَاةِ، وَسَبِيلٌ معَيَّنَة، ذَاتُ غَايَة مُشخَّصَة، لَيْسَ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَسْلُكَ خَاصَّة، وَهُو قَوْله : ﴿فِطْرَة اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وَلَيْسَ الإِنْسَان العَائِشُ فِي هَذِهِ النَّشْأَة، إِلاَّ نَوْعاً وَاحِداً لاَ يَخْتَلِفُ مَا يَنْفَعُه وَمَا يَضُرُّه بِالنَّظَر إِلَى هَذِهِ البِنْيَة المؤلَّفَة منْ رُوحٍ وَبَدَن، فَمَا لِلإِنْسَانِ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ إِنْسَانٌ، إِلاَّ سَعَادَةٌ وَاحِدَةٌ، وَشَقَاءٌ وَاحِد، فَمِنَ الضَّرُورِي حِينَئِذٍ أَنْ يَكُون تِجَاهَ عَمَله، سنّة وَاحِدَة ثَابِتَة، يَهْدِيهِ إِلَيْهَا هَادٍ وَاحِدٌ ثَابِت.

وَلْيَكُن ذَاكَ الهَادِي هُوَ الفِطْرَة، وَنَوْعُ الخِلْقَة، ولِذَلِكَ عَقَّبَ قَوله : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فطَر النَّاسَ عَلَيْها﴾ بِقَوله : ﴿لاَ تَبْدِيل لِخَلْق اللَّه﴾.

وَجاءَ فِي تفسِير ابنِ كَثير للآيَة المَذْكُورَة : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين حَنِيفاً﴾ فسَدِّدْ وَجْهَكَ، واستَمِرَّ عَلَى الدِّين الَّذِي شَرَعَهُ

(84) سورة الشمس. الآية : 7-8.
(85) سورة عبس. الآية : 20.

اللَّه لَك مِنَ الحَنِيفِيَّة، ملّة إبْرَاهِيم الَّذِي هَدَاك اللَّه لَها، وَكَمَّلَها لَك غَايَة الكَمَال، وَأنْتَ مَعَ ذَلِك لاَزِمٌ فِطرَتك السَّلِيمَة الَّتِي فَطَرَ اللَّه الخَلْقَ عَلَيْهَا فَإنَّ اللَّه تَعَالَى فَطَرَ خَلْقَه عَلَى مَعْرِفَتِه وَتَوْحِيدِه، وَأَنَّهُ لاَ إِلَهَ غَيْرُه، كَمَا تَقَدَّم عِنْد قَوْله تعَالَى : ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم؟ قَالُوا : بَلَى﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه﴾ قالَ بعْضُهم : مَعْنَاه : لاَ تُبدِّلُوا خَلْقَ اللَّه، فَتُغَيِّرُوا النَّاس عَن فِطْرَتِهم الَّتِي فَطَرَهم اللَّه عَلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ بِحَدِيث رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَة قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : (مَا منْ مَوْلُودٍ يُولَد، إلاَّ عَلَى الفِطْرَة، فَأَبَواه يُهَوِّدَانِه أَوْ يُنَصِّرَانِه أوْ يُمَجِّسَانِه، كَما تنتُجُ البَهِيمَة بهِيمَةً جَمّاً، هَل تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاء) ورَوَى جَابِرُ بْنُ عَبدِ اللَّه الأَنْصَارِي، عَنْ عَبْدَ اللَّه، قَالَ رسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَة، حتَّى يُعْرِبَ عَنْهُ لِسَانُه، فَإِذَا عبَّر عَنْهُ لِسَانُه، إِمَّا شَاكِراً، وَإِمَّا كَفُوراً (انتهَى كلاَم ابنُ كُثَيْر).

وبَعْد، فَلَقد تعمَّدت أنْ آتِي بِهَذِهِ النُّقُول مِن مُخْتَلَف التَّفَاسِير القُرْآنِيَّة القَدِيمَة والحَدِيثَة لأُدَلِّل مِنْ جِهَة عَلَى أنَّ دِينَ اللَّه، والاعْتِرَافَ بِوَحْدَانيَّته، فطْرَةٌ فَطَرَ اللَّه عَلَيْهَا النَّاس

جَمِيعاً، وأنَّه لاَ مَجَال لِنُكْرَانِ مَا أَرَادَه اللَّهُ الَّذِي يَعْرِف السِّرَّ وَأخْفَى، وَأنَّه لاَ مَجَالَ لنُكْرَانِ الدِّينِ الحَنِيفِ، وخُلُودِهِ الأَبَدِيّ، وَأَنَّ مَجَالَ العَقْل مَحْدُودٌ بِحُدُودِه، وَأَنَّهُ مَهْمَا كَثُرَتِ العُلُوم، واسْتَبْحَرَتْ، فإنَّهَا تَبْقَى عَاجِزةً عَن مَعْرِفَةِ كلِّ الأَشْيَاء وَمَبَادِئِهَا، وَتَنْتَهِي دَائِماً بِالانْتِصَار لِقَضِيَّة الغَيْب، وَأَن مَعْرِفَة الأَشْيَاء مَهْمَا بَلَغَت ما بَلَغَت، لاَ تُدْرِكُ المَصَائر، وَأنَّ (الحَوَادِث الكَوْنِيَّة تَسِيرُ عَلَى خُطَّة مَرْسُومَة، وَأَنَّ القُوَّة المدبّرَة لِلأَشْيَاء، تَهْدِفُ مِنْهَا إِلَى غَايَةٍ مُعَيَّنَة، أَوْ أَنَّهَا لاَ تَسِيرُ بمَحْضِ المُصَادَفَة العَمْيَاء، والاتِّفَاقِ التحكُّمِي[86].

غَزِيرَة الدِّين، أيْ الفِطْرَة الَّتِي فَطَرَ اللَّه النَّاسَ عَلَيْهَا، لاَ يُمْكِن أنْ تَنْطَفِئَ أَوْ تَمُوت، وَمَهْمَا حاوَلُوا إِطْفَاءَهَا، فَلاَبُدَّ أَنْ تشْتعِلَ، وَلاَبُدَّ أنْ تُسَلِّطَ أَضْوَاءَهَا عَلَى البَشَرِيَّة، فَكَثِير مِنَ الفَلاَسِفَة، وَمِنهُم «كُونت A' Conte » تَنَبَّأُوا بأنَّ فَنَاءَ الدِّيَانَات، سَيَكُون هُو النِّهَايَة الحَتْمِيَّة لتقدُّم العُلُوم، ولكنَّهُم لَمْ يَلْبَثُوا أنْ عَادُوا أَدْرَاجَهُم، لِيَنسَلِخُوا عَنْ أَفْكَارِهِم، ويسْتَسلِمُوا لِحَقِيقَة الدِّينِ، وَعَالَم الغَيْبِ الَّذِي بالاعْتِقَادِ بِهِ، تنحلُّ كَثِيرٌ مِنَ العُقَد،

(86) الدكتور محمد عبد اللّه دراز (كتاب الدين)، ص 93.

الَّتِي يَعْجز عَنْهَا الإِدْرَاك العَقْلِي (وَالعَجْز عَنِ الإِدْرَاك إِدْرَاكٌ).

(وَهَذَا سبنسِر R. Spencer يَنْتَهِي بأَنْ يَقُول عَنِ «المَجْهُول» إِنَّه تِلْكَ القُوَّةُ الَّتِي لاَ تَخْضَعُ لِشَيْءٍ مِن العُقُول، بَلْ هِيَ مَبْدَأُ كُلِّ مَعْقُول، وَهِيَ المنْبَع الَّذِي يَفِيضُ عَنْهُ كُلُّ شَيْء فِي الوُجُود).

وَعَلَّق الدُّكتور مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّه دَرَّاز عَلَى مَا كَتَبَه فِي المَوْضُوع الفَيْلَسُوف (ليتريه Littré) يصِفُ نفْسَه حِين كَانَتْ خاتِمَةُ مَطَافِه فِي العُلُوم الوَاقِعِيَّة، أنْ رَأَى نَفْسَه مَحُوطاً مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ببحْرٍ لُجِّيٍّ مِنَ الأَسْرَارِ الغَامِضَة، وَهْو لاَ يَمْلِك سَفِينَةً يَخُوضُ بِهَا لُجَّتَه، وَلَيْسَ مَعَهُ إِبْرَةٌ يتعرَّفُ بِهَا وِجهَة سَفَرِه، تُرَى كَيْفَ مَوْقِفُهُ بِإِزَاءِ هَذَا المُحِيط الرَّهِيب ؟ أَتَرَاهُ وَقَفَ أمامَه وقْفَة الشَّاعِر الصَّائِم، أوْ وَقْفَة العاشِق المتدَلِّه ؟ كَلاَّ ولكنْ وَقْفَة النَّاسِك الخَاشِع المُتَأَلِّه[87].

القُوَّة الكامِنَةُ فِي نَفْس كُلّ إِنْسَان، والمُسَيِّرَة لَه، والعَامِلَة المؤثِّرَة فِي تَوْجِيهِه، والَّتِي حَاوَلَ البَعْض أنْ يكْبِتها ويُطْفِئَهَا

(87) الدين، للدراز، ص 95.

وَيَقْضِيَ عَلَيْها، فَلَمْ يَسْتَطِع إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً، هِيَ قُوَّة الفِطْرَة الَّتِي فَطَرَ اللَّه النَّاسَ عَلَيْهَا، والَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْهَا الآيَةُ القُرْآنِيَّة فِي سُورَةِ (الرُّوم) والَّتِي خَضَعَت لربِّهَا حِينَ خَاطَبَهَا قَائِلاً : ﴿أَلَسْتُ بِربِّكُم قَالُوا بَلَى﴾ شَهِدْنَا، والَّتِي تُؤكِّد بَأَنَّ قُوَّة الدِّين فِي النَّفْس الإِنْسَانِيَّة قوةٌ ثَابِتَة مُرْتَكزَة لاَ يُمْكِن أنْ يطْمِسَهَا عَقْل، أوْ عِلْم، أوْ طَبِيعَة، أوْ أَيُّ شَيْء، لأَنَّهَا القُوَّة الَّتِي أَخْضَعَت العَقْل والعِلْم لَهَا، فَلَمْ يستَطع «ليتريه Littré» وَلاَ غَيْرُه أنْ يَتَحَدَّاهَا، فَوَقَفَ أَمَامَهَا (وَقْفَة النَّاسِك الْخَاشِع المُتَأَلِّه) والتي عَبَّر عَنْهَا أيْضاً الفَيْلَسُوف الشّاكّ (دِيكَارتْ) حِينَ قَال : (إنّ فِي الإِنْسَان عُنْصُراً نَبِيلاً سَمَاوِياً خُلِقَ للبَقَاءِ والخُلُودِ، وَإِن تَنَاسَاهُ الإِنْسَانُ، وَتَلَهَّى عَنْهُ حِيناً، قَانِعاً بالدُّون مِنَ الحَيَاةِ الجِسْمَانِيَّة المُتَحَطِّمَة).

قَدْ يَغْلِطُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس، وَمِنْهُم بعْضُ الذِينَ يَحسِبُون أنْفُسَهُم فَلاَسِفَة وعُلَمَاء، فيَرمُونَ الدِّين وَرَاءَهُم ظِهْرِيّاً، دَاعِينَ إِلَى الإِلْحَادِ والشِّرْك بِاللَّه، ونُكْرَان تَأثِير الدِّين في النُّفُوس الإِنْسَانِيَّة، وَأَنَّهُ أَفْيُون الشُّعُوب، كَمَا كَانَ يَقُولُ (مَاركس). إِنَّ الدِّينَ ضَرُورَيٌّ لِحَيَاةِ الإِنْسَانِ حَيَاةً سَعِيدَة، وَهُوَ الَّذِي يُدخِلُ

الطُّمَأْنِينَة لنَفْسِه لِتَرْجِعَ إِلَى رَبِّهَا فِي الأَخِير، رَاضِيَةً مَرْضِيَّة ﴿يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّة إِرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَة مَرْضِيَّة، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وادْخُلِي جنَّتِي﴾[88].

المُشْكِلُ الَّذِي يُعَانِي مِنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي المَاضِي والحَاضِر، هُوَ مُشْكِل حياتِهِم دُونَ عَقِيدَة صَحِيحَةٍ، يَرْجعُونَ إِلَيْهَا فِي أَوْقَات السَّرَّاء والضَّرَّاء، فيَقعُونَ فِي يَأْسٍ قَاهِرٍ فِي بَعْض ظُرُوف حَيَاتِهِم، وَلاَ يَجِدُونَ مَلْجَأ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ لِيُعِيد إِلَيْهِم الاطْمِئْنَانَ النَّفْسِي، الَّذِي هُوَ الإِيمَانَ بِاللَّه الخَالِق البَارِئ المُصَوِّر، عَالِمَ الغَيْب والشَّهَادَة، الرَّحْمَانِ الرَّحِيم، سُبْحَانَه لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

لَقَد أَنْكَرَ هَؤُلاَء وَتَنَكَّرُوا لِلعَقِيدَة الإِلَهِيَّة، أَوْ غَفَلُوا عَنْهَا عَلَى الأَقَلِّ، وَسَارُوا فِي سَرَابِ مَا يَدْعُونَه بالطَّبِيعَة والعِلْم وَنُكْرَان الرُّوحِيَات والغَيْبِيَّات.

نَحْن لا نُنكِر قيمَةَ العِلْم والعَقْلِ فِي تسْيير الإِنْسَان وتنْشِيطِه ودَفْعِهِ إِلَى الأَمَام، فِي الاِستِفَادَة عَنْ إِمْكَانِيَّاتِه الَّتِي خَلَقَهَا الخَالِقُ فِيه، فَلاَ يَجُوزُ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ إِغْفَالُهَا، واسْتِعمالُها

(88) سورة الفجر. الآية : 30.

فِي حَدِّهَا المَحْدُود الَّذِي لاَ يَتَجَاوَزُ إمْكَانِيَاتِها، وَمِنْهَا الغَيْبِيَّات الَّتِي اخْتَصَّ اللَّه الخَالقُ بِهَا، فَلاَ يُطلِعُ عَلَيْهَا أَحَداً إلاَّ من ارْتَضَاهُ مِن عِبَادِه الرُّسُل عَلَيْهِمُ الصَّلاَة والسَّلاَم، فاللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ، هُوَ المُتَصرِّفُ فِي الأَكْوَانِ جَمِيعِهَا، وَعَلاَمَة الأُلُوهِيَّة مَبْثُوتَة فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ فِئَةٍ مِنَ النَّاس، لَهَا طَرِيقَتُهَا الخَاصَّة فِي الاسْتِرْشَادِ بِبَعْضِ الآيَات.

وَفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ الـوَاحِـدُ

والقُرْآن يَقُول : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لآيَات للمُؤْمِنِين، وَفِي خَلْقِكُم وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُون﴾[89] وَيَقُول : ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ﴾[90] وَيَقُولُ : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُون بِاللَّه وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكم، ثُمَّ يُحيِيكُم ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون﴾[91] ويؤكد القُرْآن عَلَى قُصُور الإرَادَاتِ الإنْسَانِيَّة عَن بُلُوغ أهْدَافِهَا، وعَجْزِها أمَامَ المَقَادِير الإلَهِيَّة العُلْيَا، فَتَقُول الآيَة القُرْآنِيَّة : ﴿وربُّكَ يخلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُم الْخِيرَةُ، سُبْحَان اللَّه

(89) سورة الجاثية. الآية : 3-4.
(90) سورة فصلت. الآية : 53.
(91) سورة البقرة. الآية : 28.

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون﴾[92] وَتَقُولُ الآيَة الأُخْرَى : ﴿أَمْ لَكُم كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ، إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُون، أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْم القِيَامَة إِنَّ لَكُم لَمَا تَحْكُمُون ؟ سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيم﴾[93] الآية : 37-38-39-40 سورة القلم.

الإِسْلاَمُ دَعَا إِلَى اسْتِعْمَالِ العَقْلِ الإِنْسَانِي، والتَّفْكِير فِي آيَات اللَّه، والنَّظَر بِإِمْعَانٍ فِيمَا خَلَقَ اللَّه فِي الأَكْوان، وَلَكِنَّه حَذَّر مِنَ الغُلُوِّ والنُّكْرَان لِمَا لَمْ يستَطع الوُصول إِلَى حَقَائِقِهِ، والتَّدَيُّن الحَقِيقِي، خَيْرُ ضَمَان لِقِيَام التَّعَامُل بَيْنَ النَّاس، عَلَى أَساس أَنَّهُم يَدِينُونَ لربِّهم بالدِّين الحَقِّ، دِينِ الفِطْرَة السَّلِيمَة، دينِ الإِسْلاَم الحَنِيف الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الأَنْبِيَاءُ والمُرْسَلُونَ، مُنذُ إِبْرَاهِيمَ أَبِي الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلاَم، ودِينِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلاَم، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيئُونَ مِن قَبلِهِم، لاَ نُفَرِّق بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون﴾[94] فالدِّينُ عِنْدَ اللَّه الإِسْلاَم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ

(92) سورة القصص. الآية : 68.
(93) سورة القلم. الآية : 37-40.
(94) سورة آل عمران. الآية : 85.

غَيْرَ الإِسْلاَم دِيناً فَلَنْ يُقبَل مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[95]
وَإِذَا كَانَ الإِسْلاَم دينَ الفِطْرَة الَّتِي خَلَقَ اللَّه الإِنْسَان عَلَيْهَا، فَهُوَ ضَرُورَةٌ إِجْتِمَاعِيَّة، يَلْتَقِي فِيهَا الإِنْسَان مَعَ أَخِيهِ الإِنْسَان، عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الطُّهْرِ والأَخْلاَقِ والتَّعَاوُن عَلَى الحَقِّ، ونُصْرَة الفَضِيلَة بَيْنَ الأَنَام، وَعَدَم الانْغِمَاس فِي المَادِّيَّات الطَّاغِيَّة، يَقُولُ الدُّكْتُور ويلْسُون Le président Wilson الرئيس الأَسْبَقُ للولاَيَات المُتَّحِدَة الأميريكِيَّة : (وخُلاَصَة المَسْأَلَة أنَّ حَضَارَتَنَا إِنْ لَم تُنْقَذْ بالمَعْنَوِيَّات، فلَن تَستَطيع المُثابَرَة عَلَى البَقَاء بمَادِّيَّتِهَا، وَإِنَّهَا لاَ يُمْكِن أَنْ تَنْجُوَ إِلاَّ إِذَا سَرَى الرُّوح الدِّينِي فِي جَمِيع مَسَامِّهَا، ذَلِكَ هُوَ الأَمْر الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَتَنَافَس فِيهِ مَعَابِدُنَا، ومُنَظَّمَاتُنَا السِّيَاسِيَّة، وَأَصْحَابُ رُؤُوس أَمْوَالِنَا، وكُلُّ فَرْدٍ خَائِفٍ مِنَ اللَّه، مُحِبٌّ لِبلاَدِه)، (انتهَى كَلاَمُ وِيلسُون).

وَيَقُولُ المَارِشَال مُونتجُومْرى فِي خُطْبَة أَمَامَ الجَيْشِ الثَّامِن يَوْم 4 مارس 1951 : (إِنَّ أَهَمّ عَوَامِل الانتِصَار فِي الحَرْب، هُوَ العَامِلُ الأَخْلاَقِي، وَلاَ يُمكِنُ لِقَائِد أنْ يَدفَعَ جُنُودَه إِلَى بَذْلِ أَقْصَى جُهُودِهِم فِي الْعَمَل، إِلاَّ إِذَا كَانَت ضَمَائِرُهُم مُرْتَاحَةً

(95) سورة آل عمران. الآية : 85.

إِلَى مَا يَعْمَلُونَه، وَيَقِينِي أنَّ الجَيْشَ إِذَا سَارَ عَلَى غَيْرِ مَرضَاةِ اللَّهِ، سَارَ عَلَى غَيْر هُدىً).

إِنَّ خَطَرَ الانْحِطَاطِ الخُلُقِي فِي أَفْرَادِ الجَيْشِ، أَعْظَمُ مِنْ خَطَرِ العَدُوّ، وَلِذَلِكَ لاَ نَسْتَطِيع أنْ نَنْتَصِرَ فِي مَعْرَكَة، إِلاَّ إِذَا انْتَصَرْنَا عَلَى أنْفُسِنَا قَبْلَ كُلِّ شَيْء. (انتَهَى كَلام مُونتجومرى).

وَفي تجْرِبَتِنَا المُتَواضِعَة فِي مُكَافَحَة ومُقاوَمَة الاسْتِعمَار، لاَحَظْنَا أنَّ الَّذِينَ قَدَّمُوا أَنْفُسَهُم ضَحَايَا لِتَحْرِير بِلاَدِهِم، كَانَ الدَّافِعُ الإِسْلاَمِي، والغِيرَةُ الدِّينِيَّة، الدَّافِعَ الأَسَاسِي الْقَوِيَّ فِي نُفُوسِهِم، خُصُوصاً لَدَى سَاعَة الحُكْم عَلَيْهِم بالإِعْدَام، حَيثُ كَانَ الكَثِيرُونَ مِنهُم لَدَى سَاعَة تنفيذ الحُكم عَلَيْهِم، يطلُبون السَّمَاحَ لَهُم بالوُضُوء وَأَدَاء رَكْعَتَيْن لِلَّه العَظِيم، هَذِهِ العَقِيدَة فِي اللَّه الثَّابِتَة فِي النُّفُوس هِي الَّتِي أبقَت المَغْرِب خِلاَلَ القُرُون، مدَافِعاً عَنْ وَحْدَتِه، مُنَافِحاً عَنْ عَقِيدَتِه، مُضَحِّياً كُلّ أنْوَاع التَّضْحِيَّة فِي سَبِيلِ كَرَامَتِه، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَت المَغْرِب فِي عَهْدِ طَارِقِ بْن زيَّاد وَعَبْد اللَّهِ بْنِ يَاسِينَ وَيُوسُف بْن تَاشَفِين وَيَعْقُوب المَنْصُور الموحّدي والدّوْلَة المَرِينِيَّة، يقِفُون وَقَفَات الأَبْطَال، لاَ فِي الدِّفَاع عَنِ المَغْرِبِ فَحَسْب، وَلَكِن فِي حِمَايَة وَبَقَاءِ

الوُجُودِ الإسْلاَمي فِي أرْض الأنْدَلُس، خِلاَلَ ثَمَانِيَة قُرُونٍ، وَهِيَ الَّتِي دَفَعَت الدَّوْلَة السَّعْدِية، رَغْمَ أنَّهَا لَمْ تَحْكُم إلاَّ قَرْناً واحِداً تُقَاوِم الغَزْوَ الصَّلِيبِي فِي مَعْرَكَة وَادِي المَخَازِن، وتَنتَصِر عَلَى الصَّلِيبِيّينَ المُتَحَالِفين، وَيَبْقَى الوُجُودُ الإسْلاَمِيُّ لاَ فِي المَغْرِبِ فَحَسْب، وَلَكِن فِي الشَّمَال الإفْرِيقِي جَمِيعِه، وَلَوْلاَ انتصَارُ المَغارِبَة فِي مَعْرَكَة وَادِي المَخَازِنَ، لَكَانَتِ الْمَأْسَاةُ الكُبْرَى، وَلَبُدِّلَت الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْض، ولَكَانَ الشَّمَالُ الإفْرِيقِي، غَيْرَ مَا هُوَ عَلَيْهِ اليَوْمَ مِنْ حَيْثُ العَقِيدَةُ الإسْلاَمِيَّةُ.

إنَّ العَقِيدَة الإسْلاَمِيَّة هِيَ الَّتِي صَانَتِ المَغْرِب مِنَ التَّفَكُّكِ والانْحِلاَلِ والتَّفَسُّخ خِلاَلَ القُرُون، رغم مَا تعرَّض له من غَزْو من طَرَف بَعْض الدُّول الاستِعمارية، وآخرها فَرَنْسَا واسبَانِيا، وَهِي الَّتِي صَانَت الوَحْدَة المغربيَّة، رغم التآمر الذي دبره الاستِعمار الفَرنسِي، عِنْدَ مَا عَمِل جَاهداً علَى التَّفرِيقَ بَين عُنصُرَيْه المُتَسَاكِنِين : العَرَبِى والأمَازِيغِي، فكَان الإسْلاَمُ، هُوَ الرَّائِد الَّذِي لَم يَكذِبْ أهله، وَكَانَت الأُخوَّة الإسْلاَمِيَّة، هِيَ الرَّابِطَ القَوِي بَيْنَ مُخْتَلَف عَنَاصِرِه المُتَسَاكِنَة، مِن عَرَبٍ، وَبَرْبَر، وَمُهَاجِرِينَ، وَافرِيقِيِّين وغَيْرِهم، وَبَقِيَ المغْرِب فِي قُوَّته الإيمَانِيَّة، سَواءً لدَى

سُكّانِ السُّهُول أَوِ الجبَال، سَوَاءٌ المتكَلِّمُون باللُّغَة العرَبيَّة أوِ المُتَكَلِّمُونَ باللُّغَة الأَمَازِيغِيَّة. العَقيدَة الإِسْلامِيَّة تجمَعُهم، وأَعلام الإِسْلام تُرَفْرِفُ عَلَيْهِم، رَغْمَ بَعْض الانْحِرَافَات الَّتِي تَعْتُورُهم فِي بَعْض الظُّرُوف، هَذِهِ الانحِرَافَات، هِيَ الَّتِي تُغَطِّي عَلَى العَقِيدَة الصَّحِيحَة، وتريدُ أنْ تَكْتَسِهَا، وَهِيَ الَّتِي يَجِبُ أنْ نَعْمَل عَلَى تَوْضِيحِهَا وتَبْيِينِ مَعَالِمِهَا، وَالتَّعْرِيف بِحَقِيقَتِهَا، وَأَخْذِهَا مِنْ يَنَابِيعِهَا الصَّحِيحَة، كَمَا أَخَذَهَا السَّابِقُون الأَوَّلُون، وَكَمَا أَتَى بِهَا جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلاَم ليعلِّمها لِصَحَابَة الرَّسُول وَهُوَ جَالِسٌ مَعَهُم يُحَدِّثُهُم وَيُبَيِّنُ لَهُم مَعَالِم الدِّين الحَقِيقِي، الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ للبَشَرِيَّة جَمْعَاء، دِين الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّه النَاسَ عَلَيْهَا ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه﴾ وَهِيَ دِين الإِسْلاَم الحَنِيف، دِين إِبْرَاهِيمَ الخَلِيل وَمَنْ أَتَى بَعْدَه مِنَ الرُّسُل وَالأَنْبِيَاء، والَّذِي اختُتِمَ بِبِعثَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد بْنُ عَبْد اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَالَّذِي مَنْ يَبْتَغِي غَيْرَهُ دِيناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنْهُ، هَذَا الدِّينُ الإِسْلاَمِي الَّذِي عَلَّمَه لَنَا جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلاَم، هُو الَّذِي يَجِبُ وَيَتَعَيَّن أنْ يَتَعَلَّمه أَبْنَاؤُنَا وَبَنَاتُنَا بِتَفَاصِيله، كَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول عَلَيْهِ السَّلاَم، وَالَّذِي وَضَعَنَا هَذَا الكُتَيِّب للتَّعْرِيف بِهِ بالاِخْتَصَار اللاَّزِم، دُونَ تَطوِيل أَوْ تَقْصِير.

فَعَسَى أَنْ يَستَفِيدَ مِنْهُ أبناؤُنَا، وَلاَ يَبْقَونَ بَعِيدِينَ عَن حَقَائِقِه الجوْهَرِيَّة الَّتِي لاَبُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، الَّتِي مَرْجعُنَا فِيهَا، القُرْآن الكَرِيمُ الَّذِي لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِه، وَسُنَّةُ رَسُولِه الصَّادِقِ المَصْدُوقِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم.

فَعَسَى أنْ يَحْظَى بالقَبُول مِن لَدُن قُرَّائِهِ، وَعَسَى أنْ يُبَارِك اللَّه فِيهِ، وَيَجْعَله خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيم، واللَّه يَهْدِي إِلَى السَّبِيل الأَقْوَم، وَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى، وَنِعْمَ النَّصِير، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّة إِلاَّ بِاللَّه العَلِيِّ العَظِيم.

شاطئ تمارة ـ في 21 شعبان الأبرك 1425

سبتمبر 2004

أبو بكر القادري

فهرس الكتاب

تقديم 5
تصحيح العقيدة، من أول الواجبات 6
الركن الأوّل في الإسلام : الشهادتان 7
الركن الثاني في الإسلام : الصلاة 8
الصلوات الواجبة 10
مواقيت الصلاة 10
سُنَّة الأذان 11
صلاة الجماعة 12
صلاة المسبوق 12
تحية المسجد 13
صلاة القصر في السَّفَر 13
صلاة الجُمُعة 14
فضْل يوم الجُمعة 15
الدعاءُ يومَ الجمعة 15
التشهد في الصلاة 17
الطهارة 17
طهارة الثوْب والبدَنِ والمكان 18
الوضوُء 18
فرائض الوضوءُ 19
سُنَن الوضوء 19
مُستحبَّات الوضوء 19
نواقض الوضوء 20
الغسل 20
فرائض الغسل 20
سُنن الغسل 21

ما يحرُم على الجُنب 21
التيمم 21
فرائض التيمم 22
سُنَن التيمم 23
مستحبَّات التيمّم 23
نواقض التيمُّم 23
التَّيمُّم لصلاة النوافل 24
فصل في الحَيْض 24
حُكْم الحَامِل 25
الصلاة على الجَنَازة 26
الدعاء في الصّلاة على الجنازة 27
الدعاء للطفل في الجنازة 29
سجود القرآن 30
الركن الثالث من أركان الإسلام "الزكاة" 30
الزكاة فريضة في أموال الأغنياء، لصالح الفقراء 32
مصاريف الزكاة 34
مقدار ما يُعْطَي الفقير من الزكاة 34
زكاة الفطر 35
الركن الرابع من أركان الإسلام : الصيام 36
فضُل شهر رمضان 38
على من يجب الصيام 39
صيام التطوُّع 40
الكفُّ والابتعاد عَمّا يتنافَى مع الصيام 41
الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان 42
الركن الخامس من أركان الإسلام : الحجّ 42
سنَّة العمرة 48
المحرمات في الحج والعمرة 49
أنواع الإحرام 50

أحاديث نبويّة في الحج 50
زيارة قبر النبيّ صلَّى الله عليه وسلّم 52
ما هو الإيمان ؟ 54
ما يجب في حقّ الرُّسُل عليهم السلام 57
الصدق 57
الأمانة والتّبليغ والفطانة 59
السُّنة تُفَسِّرُ القرآن 60
القرآن كلام الله 62
الإيمان باليوم الآخر 65
الإيمان بالصّراط 65
شفاعة رسول الله صلّى الله عليه وسلم 65
الإيمام بالقَدَر 65
الدّين أقوال وأفعال 66
ما هو الإحسان ؟ 67
متى الساعة ؟ 68
ما ذكر في القرآن من الأنبياء والرّسل والملائكة 70
ما هو الحكم الشرعي ؟ 71
أحاديث نبويّة ينبغي تحفيظها 72
قيمة ذكر الله والدّعاء 78
معنى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم 82
الدّعـــاء 83
أسماء الله الحسنى 84
بعض صيغ الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم 89
دعوات ينبغي أن تُحفَظ وتُقرأ 91
التوبة واجبة 95
تلاوة القرآن 98
آياتٌ وسوَرٌ من القرآن، ينبغي أن تُحفظ 105
كلمة ختامية 108

هذا الكتاب

هذا الكتاب، موجه أولا إلى أحفادي، وأسباطي، بواسطة أولادي، دعاني إلى كتابته ما لاحظته كما قلت في المقدمة، من ضعفهم في معرفة حقائق دينهم وعقيدتهم، نتيجة ضعف دراستهم الدينية التي لم يبق يعطاها اهتمام كبير في البرامج والمناهج التي يتعاطونها في مدارسهم، وعدم اهتمام أغلبية الآباء والأسر بأبنائهم، بالتوجيه الديني الإسلامي في مختلف مراحل التعليم، الأمر الذي جعل الكثيرين من الأبناء، لا يعرفون حقائق إسلامهم وعقيدتهم، فأصبح انتماؤهم للإسلام، مجرد انتماء سطحي، ليست له دعائم ثابتة، ولا أصول جذرية راسخة، إذا ما ناقشتهم في أي أصل من الأصول، لا يعرفون عنها إلا الضباب.

ومعلوم أنه لا يجوز مطلقاً على كل مكلف أن لا يعرف حقيقة إيمانه ودينه، ويأخذ معرفته عن طريق الوحْي الذي نزل من السماء، بواسطة جبريل عليه السلام، الذي جاء يعلم الصحابة دينهم، كما جاء في حديث جبريل والذي اعتمدتُ وارتكزت عليه في هذا الكتاب.

فعسى أن يستفيد منه أبنائي في توجيه أبنائهم وتكوينهم الديني، وآمل أن يستفيد منه كل من يريدون أن يوجهوا أبناءهم التوجيه الديني الصحيح السليم، حتى يرون فيهم، ما يثلج صدرهم، ويقر عينهم، في مستقبلهم، سواء من ناحية دينهم وعقيدتهم، أو من ناحية تقدمهم الفكري، والعلمي، والأخلاقي.

والله سبحانه يهدي شبيبتنا وأبناءنا إلى طريق الخير والحق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

«المؤلف»